نحو فكر إنساني

حركي منظم

تأليف

صلاح قازان

دار البشير

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

٢١٨,٦٢
صلا صلاح قازان
نحو فكر نسائي حركي منظم / صلاح قازان .- عمان : (د. ن)، ١٩٩٢ .
(١٦٠) ص
ر. أ. ١٤٩/٣/١٩٩٢ .
١- الإسلام - دفاع ٢- الإسلام - قضايا واصلاح
أ. العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

دار البشير
ص. ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

Dar Al-bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل امرأة تطمح أن يكون لها دور تغييري فاعل ايجابي في المجتمع.

إلى كل رجل يؤمن بدور المرأة في التغيير.

إلى والدي ووالدتي وكل من علمني وتتلمذت على يديه

أهدي هذا الكتاب

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ تسليماً كبيراً.

أما بعـد:

فإن أصـدق الحـديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم. فالهدى الذي جاء به هو الهدى وليس بعد الهدى إلاّ الضلال. وقد كان من هدى الله عز وجل لهذه الأمة أن بيّن لها صفات المؤمنين الحقيقيين، كما بيّن صفات أعداء هذه الأمة من الكافرين والمنافقين والمنافقات وأساليبهم في الكيد لهذا الدين. . . فقال سبحانه وتعالى:

﴿المنـافقـون والمنـافقـات بعضهم من بعض يأمـرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾.

وقال تعالى:

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾.

وقال تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾.

هذه الآيات تبين أبرز صفات المنافقين وأبرز صفات المؤمنين، وتبين أن أبرز صفات المنافقين هي:

أولاً: بعضهم من بعض.
ثانياً: يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.
ثالثاً: يقبضون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله.
رابعاً: نسوا الله فنسيهم الله.

كما تبين الآيات أبرز صفات المؤمنين وهي:

أولاً: بعضهم أولياء بعض.
ثانياً: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
ثالثاً: يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.
رابعاً: يطيعون الله ورسوله.

وولاء الكافرين والمنافقين في حرب هذا الدين غنيّ عن البيان، فالحوادث التي مرت بالمسلمين في هذا القرن، ابتداء بسقوط الخلافة الإسلامية وحتى الآن، شاهد وعبرة لأولي الأبصار، فأعداء الإسلام من كفار ومنافقين، لا يتحركون في حربهم لهذا الدين على الصعيد الفردي فحسب، ولكنهم يتحركون بشكل جماعي تنظيمي، يستغلون كل طاقاتهم المادية والعلمية والمالية، ويخططون وينظمون، وكل همهم في ذلك مقاومة هذا الدين وجماعته أينما حلت وحيثما تواجدت، لا يردعهم في ذلك رادع، وقد صرح زعماؤهم أكثر من مرة بهذا ولم يستطيعوا إخفاء حقدهم على الإسلام والمسلمين.

فهـذا جنـدي ايطالي، يكتب رسـالـة لأمه، وهو متوجه مع الحملة الصليبية الإيطالية لغزو ليبيا، فيقول:

أمـاه
أتمي صلاتك. . . لا تبكي
بل اضحكي وتأملي
أنا ذاهب إلى طرابلس
فرحاً مسروراً
سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة
سأحارب الديانة الإسلامية
سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر، في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر:

«إننـا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرأون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم».

وبعد احتلال القدس عام ١٩٦٧ قال وزير خارجية بريطانيا:

«لقـد كان اخـراج القـدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وإن الكنيست اليهـودي قد أصدر ثلاثة قرارات بضمها القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.

وعندما دخلت قوات العدو اليهودي إلى القدس عام ١٩٦٧، تجمهر الجنود حول حائط المبكى، وأخذوا يهتفون مع موشى دايان:

هذا يوم بيوم خيبر
يا لثارات خيبر
حطوا المشمش عالتفاح، دين محمد ولى وراح
محمد مات . . خلف بنات

هذا غيض من فيض وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ [آل عمران].

والآن ما لم يجمع المسلمون صفوفهم، في شكل حركي جماعي تنظيمي، لمواجهة هذا المد الجاهلي، الذي يريد أن يستأصل شأفتهم، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

والفتاة المسلمة عنصر أساسي في هذا كله. ولهذا جاء هذا الكتاب ليتناول دورها في العمل لنصرة هذا الدين، وهو جهد مشكور للمؤلف، أرجو الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة. وآمل أن يكون هذا الكتاب باعثاً يحمل المخلصين من أبناء هذه الأمة لأن يكملوا الطريق ويتناولوا دور الفتاة المسلمة بشيء من التفصيل.

فإلى العمل أيتها الأخوات الصادقات، والله معكن، ولن يَتِرَكُنَّ أعمالكنَّ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مهدية الزميلي

المقدمة

لا ندري هل هناك مِن قضية فعلاً تدافع عنها المرأة العربية المسلمة؟ وهل هناك حقـوق مهضـومـة؟ إن واقـع المرأة المسلمة المعاصر يقول نعم، إن هناك حقوقاً مهضومة. أما الواقع الحقيقي الذي قام ويجب أن يقوم للمرأة المسلمة فيقول: إن المرأة في ظل الإسلام أخذت حقها غير منقوص.

أمام هذا التباين بين واقع المرأة العربية المعاصرة الملموس، وبين واقعها في ظل دولة الإسلام، كان لا بد من البحث عن أسباب التباين ومعرفة عوامل التأخر والتراجع إلى قلب القمقم.

إن المرأة العربية الحديثة ـ وغيرها ـ تعيش الحياة القمقمية، وإن ظهرت مترفة أحياناً، وملونة بأجمل الألوان الصناعية التي لا تمس جوهر القمقمية النسوية.

فالخـروج من القمقم النسوي لا يكون شكلياً أو مظهرياً، بل عليه أن يكون جوهـرياً يتنـاول العقـل النسوي بالمراجعة والحساب وتجديد التصورات النسائية للكون والحياة والإنسان. وإننا لو تعاملنا مع قضية تحرير المرأة بهذا الفهم، واتجهنا إلى التغير الجـوهـري لا التغيير الصوري الشكلي لتغيير حالنا العام وحال المرأة الخاص على نحو أفضل.

وهذا التغيير لا يتم هكذا عفوياً وفردياً، بل لا بد أن يكون منظماً ومدروساً، وجمـاعياً حركياً، لإعـادة تجـديد الفكر النسوي العربي الحديث وفق التصورات العقدية الإسلامية الصحيحة.

والكتاب برمته يتناول هذه الإشعاعات ويلقي الضوء عليها فهو في فصله الأول ـ ضرورة العمل الحركي النسائي ـ يتحدث عن ضرورة وأهمية العمل الحركي النسائي لإخراج المرأة المسلمة من جاهلية القرن العشرين إلى إسلامية القرن الحادي والعشرين، وبيّنا من خلاله دور المرأة في استئناف الحياة الإسلامية وأثر الاستئناف في التحرير الحتمي للمرأة المسلمة.

أما الفصل الثاني ـ بين تنظيم الرجال وفوضوية النساء ـ فتناولنا فيه تعريف التنظيم وحكمه، وكذلك عرضنا ردوداً سريعة على بعض الذين يدّعون أن المرأة لا تصلح للعمل الحركي، ولا يتناسب معها، وأن مهمة استئناف الحياة الإسلامية هي مهمة الرجل دون المرأة، أو من يقول إن دخول المرأة في معترك العمل الحركي قد يؤثر سلباً على الأسرة والزوج والأولاد.

أما الفصل الثالث ـ الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة ـ فقد عرضنا من خلاله عبقرية الإسلام في تشكيل عقول أتباعه بشكل عام، وعقليات المسلمات بشكل خاص، حيث صاغ عقولاً نسائية صياغة حركية خاصة تتناسب مع الواقع الإسلامي والمعطيات الحضارية الجديدة وأخرجها من عزلتها وقمقمها إلى الانفتاح العام على المجتمع الإسلامي الفاضل، فقد شكل فيها عقلية التفكير الناقد وعقلية التحدي وعقلية البناء العام والعقلية الاستقلالية المتفاعلة مع المجتمع المحيط.

أما في الفصل الرابع ـ العمل الحركي والمرأة ـ فقد تعرضنا فيه للفوائد التي تجنيها المرأة من جراء انخراطها في العمل الحركي النسوي سواء على مستواها الشخصي أم على المستوى الأسري.

أما في الفصل الخامس ـ العمل الحركي والمجتمع ـ تعرضنا فيه للفوائد التي يجنيها المجتمع من وجود حركات عاملة فيها سواء أكانت حركات نسائية أم غيرها.

أما في الفصل السادس ـ أركان الحركة الإسلامية الناجحة ـ فقد تعرضنا فيه

لأهم مقـومات الحركة الإسلامية الناجحة، سواء أكانت حركة نسائية أم رجالية أو كليهمـا معاً. وقد حاولنا من خلال هذا الفصل التركيز على بعض ما يهم الحركة النسائية الإسلامية مثل الركن الأسري والركن الأخلاقي، إذ إنهما أهم في الحركة النسائية من غيرها باعتبار أن أمرهما مرهون بيد المرأة.

وتعـرضنـا بعـد ذلـك للمقـومات التي يجب توافرها في أي شخصية تغييرية إسلامية، وهي العلم والعمل والصبر والإخلاص وفهم الواقع، وفوق ذلك كلّه، وقبل ذلك كلّه، العقيدة الصحيحة.

أما في الفصل السابع والأخير ـ صور للمرأة المسلمة الحركية قديماً وحديثاً ـ فقد عرضنا من خلاله بعض الصور التي تظهر دور المرأة المسلمة في بيتها ومجتمعها وتبيّن الجرأة التي اتسمت بها المرأة المسلمة واعتمادها على ذاتها وثقتها بنفسها. . وقد تناولنا صوراً قديمة وحديثة حتى نرى من خلال ذلك عبقرية الإسلام في بناء عقليات أتباعه الحركية التغيرية.

لقد أردنا من خلال هذا البحث أن نبين أن المرأة المعاصرة لا يمكن أن تتحرر إلا إذا استؤنفت الحياة الإسلامية وأن الحياة الإسلامية لا تستأنف إلا إذا شاركت المرأة المسلمة مشاركة فاعلة في المحاولات الجارية لعملية الاستئناف فإن استؤنفت الحياة الإسلامية يصبح تحرير المرأة المسلمة حتمية لا بد منها.

أرجو أن أوافق في عرض ما ذكرت آنفاً في الصفحات القادمة فإن وفقت فمن الله وإن لم أوفق فمن نفسي ولا حول ولا قوة إلى بالله العلي العظيم.

العبد الفقير إلى رحمة ربه

صلاح يوسف عبد القادر قازان

الأردن ـ المفرق

٤/٢/١٩٩٢م

الفصل الأول

ضرورة العمل الحركي النسائي

الفصل الأول

ضرورة العمل الحركي النسائي

إن أي فكـرة لا تجـد مجموعة من الناس يقومون لها ويتهيؤون للدفاع عنها ونشـرهـا لا شك أنها ستموت في مهدها، أو على الأقل ستمرض ويطول بها أمد المرض وتبقى طريحة الفراش، حتى يأتي من يعالجها ويبعد عنها غبار الزمن وأتعاب المـرض، ويعـرضها على مجموعة من الأشخاص ليشكلوا نواة حركة أصلها هذه الفكرة الجديدة. إن الفكرة التي لا يتحرك بها أصحابها ولا يناصرونها ويجاهدون من أجلهـا سرعـان ما تذوب وتنسى مهما كانت هذه الفكرة من الروعة والإبداع، وبمقـدار نشـاط ومثابـرة القائمين العاملين على هذه الفكرة وبمقدار استقطابهم لجمهور الناس يكون نجاح الفكرة، وبالتالي تتشكل لدينا الحركة التي تتكون من مجموعة من الناس وعلى رأسها القيادة ولها هيكلها التنظيمي. وللحركة ـ أي حركة ـ فكرة معينة تريد أن تحققها بين الناس مهما كانت هذه الفكرة بسيطة أو تافهة أحياناً أو صعبة التحقيق على أرض الواقع إلا أنها تحاول أن تبني لنفسها أنصارا.

ومن هنا تأتي أهمية البناء الحركي التنظيمي وهو البناء الذي لم يهتم به كثيراً معـظم المصلحين الـذين حرصوا على تغيير الأوضـاع القائمة بأوضاع أفضل في الـوطن العـربي، فانـظر مثـلاً أين البعد التنظيمي الحركي في دعوة جمال الدين الأفغاني رحمه الله، وأين البعد التنظيمي الحركي عند المصلح محمد عبده رحمه الله، وأين البعد التنظيمي الحركي عند المصلح عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله، هؤلاء المصلحون الثلاثة الذين ذاع صيتهم في الآفاق جاؤوا بأفكار إصلاحية جيدة إلا أنهم لم يشكّلوا بعداً أو بناء حركياً يعمل على تحقيق أفكارهم الإصلاحية سواء في حياتهم أو اكمـال الـطريق بعد مماتهم. ولذلك سرعان ما أصبحت أفكارهم

وآراؤهم الإصلاحية مجرد تاريخ يدرّس لأهل الاختصاص[1].

وبالمقابل عند النظر إلى الفكر الإصلاحي عند الإمام المصلح حسن البنا ـ رحمه الله ـ، نجد أنه جاء بأفكار إصلاحية مثله مثل الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي رحمهم الله، إلا أن أفكار الثلاثة لم يكن لها التأثير أو الصدى الذي كان لدعوة الإمام حسن البنا، والسبب أن الثاني ـ حسن البنا ـ حرص على تشكيل بناء حركي بعكس غيره من المصلحين. فيبقى تأثير حسن البنا كمصلح للقرن العشرين في العالم الإسلامي عن طريق الجماعة ـ البناء الحركي ـ التي أسسها. لقد وجدت أفكار حسن البنا من يحملها إلى الآفاق عن طريق الحركيين الذين أحاطوا به في حياته وواصلوا طريقه بعد استشهاده. أما المصلحون الثلاثة الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي فقد أصبحت أفكارهم الآن في طور الاحتضار، والسبب بيّن واضح وهو اهمالهم البناء التنظيمي الحركي الذي يواصل المشوار التغييري[2].

ولنرى تجربة حركية أخرى:

فهذا المصلح التركي الكردي الإسلامي سعيد النورسي ـ رحمه الله ـ الملقب ببديع الزمان الذي سار لإصلاح تركيا مركز الخلافة الضائعة (التي قضي عليها)، حارب هذا المصلح وجاهد ووقع أسيراً أكثر من مرة وعذب وسجن في محاكم أتاتورك الصورية وأنشأ جمعية الاتحاد المحمدي ثم أنشأ بناء حركياً قوياً يعتمد عليه في نشر

---

(١) يجب أن لا يفهم من هذا أننا نقلل من قيمة المصلحين الثلاثة في تغيير الأوضاع المأساوية القائمة في عهدهم بل على العكس إنهم تركوا آثاراً على مجتمعاتهم آنذاك إلا أن شخصياتهم كان لها أثر ملموس في تمرير إصلاحاتهم في حياتهم فالأثر الذي كان لهم نتيجة ارتباط إصلاحاتهم بشخصياتهم القوية ذات التأثير الشعبي.

(٢) هذا لا يعني أنهم لم تكن لهم أية ومحاولة لبناء حركي تغييري، فقد حاول الأفغاني إنشاء جمعية العروة الوثقى مع محمد عبده وجمعية أم القرى إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (السلطان العثماني) قضى عليه.

أفكاره وهي جماعة النور ـ في وقت ما ـ التي انتشرت في كل تركيا لتحمل وتنشر الفكر الصافي، الذي عبر عنه النورسي في رسائله ومن خلال حركته وجماعته ومقاومة إجراءات كمال أتاتورك الإلحادية، خصوصاً بعد وفاة مؤسسها ومقاومة الأفكار والتقاليد المنحرفة. لقد أسس النورسي جماعة النور التي واصلت الطريق من بعده[1].

ونرى بالمقابل مصلحاً عاش في نفس الفترة الزمنية وهو محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ الذي بث أفكاره الإصلاحية من خلال مجلة «المنار» التي أسسها وبقي المسؤول عنها وقدم تراثاً علمياً عظيماً، وطالب بإصلاحات عظيمة سواء على مستوى الفرد أو ا لمجتمع إلا أن إهماله الواضح لبناء حركي يواصل رسالته من بعده ـ كاستاذه محمد عبده وكالأفغاني والكواكبي ـ حال دون أن تبقى أفكاره لتؤثر على المجتمع العربي ودون أن تحمل كأفكار فاعلة من جيل إلى جيل عن طريق الرجال والأتباع ـ إلا تأثيراً بسيطاً لا يكاد يذكر عن طريق الكتب والمؤلفات العلمية ـ، فبقيت مطالبه نظرية ليس هناك من يحرص عليها أو يطالب بتنفيذها بعد مماته.

إن هاتين التجربتين تظهران لزومية الاهتمام بالبناء الحركي لنقل الأفكار الإصلاحية وتنفيذها من جيل إلى جيل فبدلاً من أن يتأثر بخيرها جيل المصلح فقط

(١) عندما برز حزب السلامة كواجهة عمل إسلامي حركي في تركيا تمكن من استقطاب معظم القوى الإسلامية وكان شباب النور من ضمن من استقطبهم التنظيم الجديد، ثم انسحب شباب النور من حزب السلامة واتجهوا نحو ثلاثة اتجاهات الأول اتجاه التحم مع حزب السلامة التحاماً عضوياً، والثاني اتجاه بقي على الحياد تشكل من حزب النظام الوطني (ملي نظام)، واتجاه ثالث أعلن عداوته لحزب السلامة، إن جماعة النور بعد وفاة صاحبها ومؤسسها المرحوم سعيد النورسي اتجهت فرقاً ومدارس شتى يصعب تحديد مواصفاتها وسياستها ومواقعها في مثل هذه العجالة غير أن الذي لا شك فيه أنها لم تعد الحركة القادرة على مواجهة التحدي الحضاري والعودة بتركيا إلى الإسلام من جديد/ عن (الموسوعة الحركية/ لفتحي يكن).

فلم لا تستفيد منها كل الأجيال التالية حتى يعم خير الإصلاح والمصلحين كل الأجيال؟ وما ينطبق على الأفكار الإصلاحية العامة ينطبق على الأفكار التي تهتم بشؤون المرأة بوجه عام.

* * *

نحو حركة نسائية:

فالذي نريده من الأفكار الإصلاحية التي تهتم بشؤون المرأة المسلمة إن تشكل تشكيلاً حركياً يطالب باستئناف الحياة الإسلامية أولاً، ثم يأتي تحرير المرأة المسلمة كنتيجة حتمية لاستئناف هذه الحياة، فلو بقيت قضايا النهضة النسوية أفكاراً، وقد كانت كذلك في بداية الأمر لما رأت النور وبقيت المرأة حبيسة هذه الأفكار وتعيش على هواجسها. ولكن علينا أن لا ننسى أن أي تغيير اجتماعي أو غير اجتماعي أو حتى قيام ثورة على النظم القائمة يبدأ بأفكار ثم تنفذ هذه الأفكار من خلال جماعات وأحزاب أو حركات تغييرية.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه «هذا الدين»: «فالمنهج إنما يتحقق بأن تحمله جماعة من البشر يؤمنون به إيماناً كاملاً وتستقيم عليه بقدر طاقتها تجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك».

فالمنهج ـ أي منهج أو فكرة ـ لا بد لها من جماعة أو مجموعة تعمل لها وتدافع عنها وهو الأمر الذي اغفلته المرأة القديمة ولو جزئياً، فكان هذا الإغفال بالإضافة إلى السبب الرئيسي في الانحدار النسوي وهو الانحراف في التصورات العقائدية لدى الأمم القديمة هما سبب الداء النسوي على مدار تاريخ المرأة العام.

وحتى هنا مفارقات عقدية... فمثلاً لماذا تُقَدَّم الأنثى قرباناً للآلهة أو قرباناً للنيل؟ لماذا لم يقدموا أفضل ما لديهم وأحبه هدية للآلهة ـ آكلة البشر ـ حتى ترضى؟ لِمَ لا يقدمون الولد الذكر ذا المقام العالي، أليس ذلك أرضى للآلهة؟ لماذا يضحون

بامرأة لا وزن لها ولا قيمة ـ حسب معتقداتهم طبعاً ـ أليس الذي يريد أن يتقرب إلى الآلهـة يضحي بأحسن ما عنـده فلمـاذا إذن لا يضحـون بالـذكر بدلاً من الأنثى المسحوقة؟ مفارقة غريبة وظلم آخر يحيق بالمرأة وهكذا هي إرادة الكهنة وهكذا هي إرادة الآلهة المزيفة.

لقد كان على المرأة إذا أرادت أن تتحرر من العبودية والظلم ـ وهي الضعيفة ـ التي تعمل بمفردها أن تجتاز بناء قوياً وعقبة أولى وهي الامبراطور أو زعيم القبيلة، وحاشيته المعارضة لحريتها وحتى لو سلمت من العقبة الأولى فستواجهها عقبة كؤود أخرى ممثلة في البناء الحركي القوي للكهنة الذين لا يتنازلون بهذه السهولة أمام مصالحهم أو أرائهم المقدسة وحتى لو تعدت هاتين العقبتين فعليها أن تجتاز العقبة الثالثة ممثلة في عادات وتقاليد وقيم ذكورية تعمقت في الذكور، فكيف للمرأة أن تواجه هذه العقبات الحركية الثلاث وهي التي تعمل بمفردها ولا تعمل ضمن بناء حركي وإن عملت يبقى البناء ضعيفاً إذا ما قورن بقوة الأبنية الحركية الثلاث الآنفة الذكر.

ولنترك تلك الفترة المظلمة في تاريخ المرأة ولنأت إلى مرحلة النهضة المستنيرة التي تلت هذه المرحلة مباشرة بالنسبة للمرأة والتي نقلتها من طور إلى طور آخر متميز كل التميز عن الطور الذي سبقه نقلت المرأة من حال إلى حال، فقد أعيد في هذه المرحلة بناء المرأة الاعتقادي أولاً وكذلك أعيد بناؤها العائلي والسلوكي وبالإجمال لقد تم في هذه المرحلة إعادة تشكيل العقل النسوي من جديد وأعطت لأولويات التفكير بعداً آخر عما كان سابقاً بالنسبة للفكر النسوي وقبل هذا وذاك تشكيل البناء العقـدي الجـديد فنـظرت إلى الحياة والإنسان نظرة جديدة، ونظرت إليها الحياة والإنسان نظرة جديدة كذلك. لقد كانت هذه النقلة الإسلامية لحياة المرأة.

إلا أن هذه النقلة لم تأت في الواقع نتيجة جهود المرأة المضنية في التحرر من العبودية والكهنة في المجتمعات الجاهلية بل على العكس، إن المرأة وبعد أن ورثت الذل والخضوع والهوان عبر الأجيال أصبحت العبودية للرجل أمراً عادياً أو يكاد يكون

عادياً لا يخرج عن مألوف حياتها اليومية فقد ورثته عن أمها التي ورثته بدورها عن أمها، وهكذا، فكيف تفكر المرأة ـ والحال هذه ـ في تمزيق أغلال العبودية عبودية الأب الذي يتشاءم من ولادتها أولاً، أم عبودية الزوج الذي إن مات اعتبرها أولاده من بعده إرثاً كغيرها من سقط المتاع، وللولد الأكبر حق في زوجة أبيه أكثر من غيره، أغلال الأب أولاً، ثم أغلال الزوج ثانياً، ثم أغلال أبناء الزوج ثالثاً، وهكذا تنتقل المرأة من عبودية إلى أخرى. وهكذا كل نساء الأرض، فإذا كانت كل نساء الأرض مسجونة بسجن محكم الإغلاق فمن يستطيع أن يحرر المرأة من هذا السجن، المرأة، الرجل الأمبراطور، الكهنة، أمن من؟؟

فالمرأة لا تستطيع أن تمنح نفسها الحرية لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يستطيع العبد أن يمنح الحرية لعبد مثله أم هل كان على المرأة الجاهلية أن تدرس حياة المرأة الهندية وتتأثر بها إذاً ستحرق المرأة العربية وهي على قيد الحياة إذا مات زوجها، أم أن على اليونانية أن تأخذ عن الرومانية إذاً أصبحت فاقدة للأهلية الحقوقية والأهلية الفعلية الواقعية، وإذا أخذت المرأة اليونانية عن المرأة العربية فسوف توأد وهي على قيد الحياة، وإذا أخذت الرومانية والعربية عن اليونانية لأصبحت المرأة الرومانية والمرأة العربية رجساً من عمل الشيطان. فكل نساء الأرض آنذاك فاقدة لحياة الحرية والأهلية فمن أين تأخذ المرأة الحرية[1].

ومن الرجل ومن أي الرجال تأخذ المرأة الحرية؟ من الرجل العربي أم الرجل الروماني اللذين سجنا المرأة وقذفا بالمفتاح في اليَمِّ حتى تبقى محجورة مقهورة مغلولة. أم من الرجل اليوناني والهندي اللذين أوثقاها أشد الوثاق حتى يستعصي حل الوثاق ولا يستطيع أن يحله أحد. إن المرأة إذا رأت أن في أمثال هؤلاء خيراً فهي كالذي يجني من الشوك العنب، وحالها إذاً كحال المستجير من الرمضاء بالنار.

---

(١) هناك بعض الفترات التي شهدت بعض الانفتاح النسوي مثل المرأة الاسبارطية والمرأة العربية التي شاركت في بعض أوجه النشاطات العامة الفكرية والشعرية إلا أن هذا الانفتاح البسيط لا يعني أن المرأة حصلت على حقوقها بل ظلت مقهورة ومغلوب على أمرها.

وهكذا غلت المرأة وسحقت وظلت بلا منقذ من هذه الأغلال فهي لا تستطيع تخليص نفسها والرجل لا يستطيع تخليصها لأنه إن فعل وخلصها فستعود برجولته إلى الخلف، ـ هكذا كان يعتقد ـ.

لذلك كان لا بد من أن تأتي معجزة وتخلص المرأة من هذا الجحيم وإلا لن تحطم أغلالها، وفعلاً جاءت العقيدة التي حطمت أغلال المرأة بعد أن أثارت الفطرة وداعبتها في الرجل وفي المرأة وحركت المحرك الموجود في كل بني البشر فوصلت إلى ما تريد، إنها عقيدة الإسلام.

يقول سيد قطب في كتابه «هذا الدين» لقد وقع الذي وقع من غلبة هذا المنهج لأنه تعامل من وراء الواقع الظاهري مع رصيد الفطرة المكنون وهو رصيد ضخم هائل لا يغلبه هذا الركام الظاهري حين يستنقذ ويجمع ويوجه ويطلق في الاتجاه المرسوم، «وجاء الإسلام يوجه هذا الواقع بلا إله إلاّ الله ويخاطب الفطرة التي لا تعرف لها إلهاً إلا الله»، وبينما كان هذا الواقع سائداً في الأرض كلها، كان الإسلام يخاطب الفطرة من تحت ركام الواقع الفطرة التي تنكر هذا كله ولا تعرفه وكانت استجابة الفطرة لنداء الإسلام أقوى من هذا الواقع الثقيل».

لقد استطاع الإسلام تخليص المجتمع والمرأة من كل قيود الجاهلية والانحطاط بهذه السرعة المذهلة، وأزال الغشاوة التي ظلت تكبل المرأة مئات السنين. لقد شكل الإسلام منذ البداية حركة أساسها الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولذلك كانت النتائج وكان الانتصار وكان الانقلاب الحركي العالمي السريع.

إن الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان إن هذا الدين عندما جاء استطاع أن يبني بناء حركياً قوياً جديداً كان مركزة دار الأرقم بن أبي الأرقم، إن زعيم هذه الحركة الإسلامية المكية الأولى محمد رسول الله ﷺ، كان يهيىء أتباعه لمقابلة حركة مناوئة قوية لأفكاره أو دينه الجديد وكان مركز الحركة المناوئة دار الندوة في مكة وهي النقطة التي لم تتحقق عالمية الإسلام إلا من خلالها فكان لا بد من تشكيل بناء حركي قوي

يقف في وجه البناء الحركي القوي المناوىء لافكاره وعقيدته الإسلامية الجديدة. وهذه الاستراتيجية في العمل الدعوي الحركي ساعدت الرسول ﷺ، فيما بعد على تحطيم الحركات المناوئة لافكاره ولدينه الواحدة تلو الأخرى بيسر وسهولة.

وقد سبق وأوردنا أن البناء الحركي الذي واجهته المرأة في طريق تحررها من العبـودية هو الأمبـراطـور وحشايته أو زعماء القبائل ورجال الدين ـ الكهنة ـ الذين يحرمون ما يشاؤون ووفق أهوائهم ومصالحهم ورغباتهم. وكذلك العامة من الشعب الذين يأتمرون بأمر الامبراطور وحاشيته وأمر رجال الدين. وعندما لم تستطع المرأة التخلص من هذه العقبات أو حتى واحدة منها جاء الإسلام بمبادىء جديدة ودين جديد غير من خلاله طبقة رجال الدين ـ الكهنة ـ وأزالهم واعتبر أن كل مسلم ومسلمة مسؤول عن تطبيق الشريعة الإسلامية وأزاح الإسلام الأمبرطور أو زعيم القبيلة عن المهمة التشريعية، ووضع مكانهما شخص آخر مهمته تنفيذ المبادئ الجديدة وإقامة حكم الله في الأرض. لقد رسخ الدين الجديد في نفوس أتباعه مفاهيم جديدة وقيم ونظم جديدة تقوم على أساس العدل والمساواة ومراعاة الفطرة السليمة في الإنسان بذكره وانثاه، وأصبح على الخليفة وعلى العامة وعلى كل أفراد المجتمع مهما كان هذا الفـرد أن يحكمـوا ويتفـاعلوا مع التشـريعـات الجـديدة ويطبقوها على الفرد والمجتمع، لا أن يأتوا بتشريعات من عند أنفسهم وفق مصالحهم ورغباتهم.

إن التجـديد والتغيير اللذين حصـلا للمـرأة بسبب الإسلام يجعل من القرآن دستـوراً وثـورة، ثورة بكل المقاييس على كل النظم الجاهلية القائمة ومنها النظم النسائية ويكفي المرأة في ذلك شرفاً أن أول من دخل الإسلام كانت امرأة ـ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ـ وأول من انفقت في سبيل الله كانت امرأة ـ خديجة بنت خويلد ـ وإن أول من استشهد في سبيل الله تحت ظل الدعوة الإسلامية المحمدية كانت امرأة سمية بنت خياط أم عمار رضي الله عنها، وإن عمر الفاروق كانت أخته سبباً في إسلامه.

وهناك عامل آخر ساعد الإسلام على قلع جذور العبودية للمرأة من المجتمع: وهو أنه عندما جاء وأصلح الأوضاع النسوية لم يصلح أوضاع المرأة من أول مرة بل أصلح نفوس عامة أتباعه أولاً والتي كانت تنظر إلى المرأة نظرة ازدراء واحتقار وعندما أصبحت نفوس أتباعه أرضاً خصبة مهيئة لأي بذار جيد يبذر فيها بذاره وهي عقيدته الربانية وأفكاره الإصلاحية الجديدة فعندما أحسن تهيئة الأرض وأحسن اختيار البذار خرجت إصلاحاته نموذجاً يحتذى به في كل بقاع الأرض فأخرج الناس رجالاً ونساء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

إن الإسلام حرر المرأة لأنه أقام بناء حركياً قوياً متماسكاً يقوم على أساس فكري صلب وأساس عقدي أصلب. فدخلت المرأة في هذا البناء الحركي مع شقيقها الرجل وتشكلت في بودقته[1] وتأثرت فيه وشاركت في حمل تبعاته وأتعابه ورفع عنها الظلم والوزر والأغلال.

والحقيقة أن المرأة لم يكن لها أي يد في عملية تحررها الإسلامية فالإسلام حرر المرأة دون إذن منها ودون وجود حركات نسائية تطالب بحقوقها قبيل مجيء الإسلام أو في أثناء نزول الوحي الإلهي وهي نادرة فريدة ووحيدة لم يسبقها مثيل، ولم يأت بعدها شبيه، فما من قانون أو نظام يصدر في القرن العشرين يخص المرأة إلا وكان للمرأة دور ما في الضغط على السلطة لاعطائها هذا الحق والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصىٰ، بل إن الحركات النسائية الحديثة وجدت أصلاً لهذه الغاية، إلّا في الإسلام فإنه أعطاها كافة حقوقها دون ضغط منها بل وبدون أن تطالب بما أخذت من حقوق.

إن السر في قدرة الإسلام العجيبة على التغيير أنه امتلك مقومات التغيير الثلاثة الرئيسية وهي الفكرة الصحيحة السليمة القائمة على أسس فطرية في كل بني البشر

---

(١) بوتقته.

وحركيين عملوا بنشاط منقطع النظير على نشر الفكرة وتمثيلها في نفوسهم، وقيادة حركية على درجة عالية من الكفاءة والقدرة والقدوة الحسنة. فقد كانت القيادة والأفراد يهتمون أول ما يهتمون كيف تتمثل الفكرة التي يدعون إليها تمثيلاً كاملاً فيهم، لقد حرصوا على أن يكون كل واحد منهم قرآناً يمشي على الأرض فكان النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

في الفترة التالية، الضعف الإسلامي العام، انتاب المرأة من جديد ظلم وضيق وأغلال وكلما ضعفت الدولة الإسلامية وضعف تأثير القرآن في النفوس كلما ازدادت أغلال المرأة واعتقد البعض جاهلاً أو متجاهلاً أن الإسلام هو الذي أغل المرأة بهذه الأغلال.

جاء القرن العشرون وجاء معه بأفكار جديدة نسائية وغير نسائية وشكلت بعض النساء بناء حركياً إلا أن هذه الأبنية الحركية كانت عرجاء سرعان ما كانت تتبدل وتتغير والسبب يعود إلى انعدام الفكر الصحيح اللازم للبناء الحركي، وكذلك اصطدامها بأرض الواقع في مجتمع محافظ والشكوك حول عَلاقة هذه الحركات مع الغرب والاستعمار بالإضافة إلى تعارضها مع الفطرة في الكثير من مطالبها التي سمّتها الاصلاحية. ثم إن التغيير الذي كان يجب أن يحصل هو التغيير الكامل للشعوذات والأفكار غير الصحيحة حول مختلف القضايا ومنها المرأة التي عمت المجتمعات العربية التي كانت مسحوقة بشقيها الذكري والأنثوي.

بجناح

هذا بالاضافة إلى أن محاولة الحركات النسائية الطير بنجاح واحد دون استخدام الجناح الآخر، وهو الإصلاح العام للمجتمع جعل من حركات التحرر الحديثة حركات عرجاء أو شوهاء أو لا ترى إلا بعين واحدة، كان على رائدات الاتحادات النسائية العربية أن يعملن على تحرير الوطن والمواطن من الكبت والاستعمار والفقر والفاقة والأمية وغيرها قبل المطالبة بمطالب جانبية لا يهم إلا الـ «أنا» في مجتمع كان بحاجة إلى «نحن». فالوعي العام إن أصاب أمة فهو يصيبها رجالاً ونساء.

إن انشغال الحركات النسائية بمسائل جانبية دعمت الاستعمار ـ في وقت ما ـ سواء بقصد أو غير قصد عندما ألهت الكتاب والشعب والصحافة بقضايا جوفاء هامشية إذا ما قورنت بالقضية الكبرى وهي الاستعمار والخلاص من الخضوع والذل العام الذي أصاب المجتمع.

فالانجليز في مصر أثناء الاستعمار عرفوا أهمية نشر الأفكار التي يدعون أنهم يريدون من خلالها تحرير المرأة، لكنهم في الواقع كانوا يخططون للحفاظ على المجتمع المصري ـ وغيره طبعاً ـ منحلاً ما أمكن ذلك لأن في هذا الأمر بقاء لهم وحفاظاً على أمبراطوريتهم من أن تمس بسوء.

إلا أن الأهم من ذلك أنهم عرفوا كيف يشغلون عدداً من نساء مصر بأمر تافه وذلك عن طريق أشغالهن بأحزاب نسائية تدعي تحرير المرأة ولم تكتف بريطانيا بنشر الأفكار بل أخذت على عاتقها تربية مجموعة من المصريات لجعلهن على رأس حركات نسائية لتخريب مصر بدعوى التحرر. وهذا ما حصل فعلاً فالأفكار وحدها لا تكفي إذا لم يتوفر من يحركها وينشرها بسهولة و يُيّسر لها من أجل أن تعم. فنشأت في مصر بمساعدة الانجليز مجموعة من الحركات النسائية مثل الاتحاد النسائي سنة ١٩٢٣ والذي اسسته هدى الشعراوي، وكذلك الحزب النسائي سنة ١٩٤٥ وحزب بنت النيل سنة ١٩٤٩ الذي أسسته دريه الشفيق ربيبة الانجليز ولا تزال حتى الآن لكثير من قيادات الحركة النسائية العربية ارتباطات بالحركات الاستعمارية المشبوهة.

ملخص مما سبق:

كل ما أوردناه عن دور البناء الحركي في تخليص المرأة والمجتمع من الهم والغم والكرب العظيم وإنه إذا كانت المرأة تريد أن تتحرر تحرراً حقيقياً لا تحرر زائفاً قشرياً. فعليها أولاً أن تساهم في استئناف الحياة الإسلامية باعتبار أن تحررها يصبح نتيجة حتمية لا بد منها لاستئناف الحياة الإسلامية ونعني باستئناف الحياة الإسلامية

إسلام الفرد وإسلام المجتمع وإسلام الحكومات وإسلام الأنظمة. أي بتعبير آخر تحكيم كتاب الله. واستئناف الحياة الإسلامية يوجب أو يتطلب من المرأة أن تشارك في البناء الحركي الإسلامي العالمي الذي يهدف لتحقيق هذه الغاية وبالتالي تحررها.

فالعمل الإسلامي الحركي الجماعي تأثيره أقوى ونتائجه أسرع ومجهوده في الغالب أقل على الفرد، وديمومته أكثر وبناؤه أمتن وآراؤه أصوب.

الفصل الثاني

بين تنظيم الرجال وفوضوية النساء

الفصل الثاني

بين تنظيم الرجال وفوضوية النساء

أولاً: تعريف التنظيم:

التنظيم في اللغة من الأصل الثلاثي نظم والنظم: التأليف، منظمة، نظمه نظماً ونظاماً فانتظم وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك والتنظيم مثله. وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته والانتظام: الاتساق وتناظمت الصخور تلاصقت والنظم ما تناسقت فقره على نسق واحد(١).

ومن مجموعة هذه المترادفات لمعنى كلمة النظام والتنظيم: التأليف الجمع، التقارن، الاتساق، التلاصق. نستطيع أن نخرج بتعريف للتنظيم الحركي الذي يعتمد أصلاً على المعنى اللغوي ويستند إليه فهو جمع من الناس تآلفوا فيما بينهم واتفقوا على طريقة تحقيق أهداف مشتركة بينهم وتعاهدوا على ذلك واختاروا قيادة لهم وقد شكلوا وحدة أو جماعة أو منظمة أو اتحاداً منسقاً لتحقق الأهداف المشتركة.

وعلى ذلك فالتنظيم النسائي شركة فكرية تضم مجموعة من النساء تشابهن في الأهداف وطريقة تحقيقها وعلى رأسها قيادة واعية ومتفهمة لمشكلات المرأة والمجتمع وواعية لوسائل الحل الأمثل لها.

ولا شك أن الإسلام من هذا الوجه مع توحيد الجهود وتظافرها وتنسيق النشاطات للوصول إلى تحقيق الغايات والأهداف بل إنه بلا ترتيب وتنسيق وتنظيم وتجميع من الصعب، بل من المستحيل تحقيق الهدف الأسمى للحركة الإسلامية العالمية وهو إعادة تحكيم كتاب الله وتعبيد كل الناس لله . . . وعجن الفرد المسلم بعجينة العقيدة

---

(١) لسان العرب/ ابن منظور ج١٢ ص ٥٧١.

حتى تصبح جزءاً منه وبعد ذلك نصل بشكل حتمي إلى استقلالية القرار النسائي والشخصية النسائية وفق إرادة المعبود جل جلاله، فاستقلال القرار النسائي هو حتمية أكيدة تتبع إعادة تطبيق أحكام الإسلام على أرض الواقع لا أن تبقى مجرد نظريات محفوظة في بطون الكتب.

ثانياً: حكمـــــه:

حكم العمل في جماعة واجب لاعتبار أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وإقامة الحكم الإسلامي وإعادة الخلافة الإسلامية فرض والطريق إليها فرض والعمل الجماعي المنظم هو أهم طريق يوصل إلى هذه الغاية. وكذلك لاعتبار آخر هو أن كل عبادات الإسلام جماعية وكافة التوجيهات جماعية والإسلام دين الجماعة ولا يقوم إلا بالجماعة: والأدلة من القرآن كثيرة.

قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾** [١٠ آل عمران] وقوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [١١٠ آل عمران] وقوله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**[١٨ التوبة] وقوله تعالى: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** [١٠٥ التوبة].

ففي هذه الآيات أدلة على وجوب العمل الجماعي فلفظ أمة في الآية الأولى يعني مجموعة من المسلمين ومنكم أي من المسلمين ويصبح معنى الآية أنه إذا لم تستطع الأمة كلها الدعوة إلى الله فعلى الأقل مجموعة من الأمة يقومون بهذا العمل سواء كانت هذه المجموعة السلطة أو غيرها. والآية الثالثة توضح مشروعية دخول المرأة العمل الدعوي ومشاركتها الرجل في الأمر بالمعروف والنهي عن ا لمنكر والعمل الدعوي ليس من أعمال الرجل وحده بل والمرأة تشاركه فيه. ونستشف من قوله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** إن على الحركة النسائية

الإسلامية أن ترتبط ارتباطاً وثيقاً كارتباط الأظافر بالأصابع بالحركة الإسلامية العالمية، بل أن تكون جزءاً منها لا أن تنفصل عنها وذلك من منطلق موالاة كل منهما للآخر. إذ أن تجميع الجهود وتنسيق النشاطات يقتضي أن تكون الحركة الإسلامية العالمية حركة واحدة بقيادة واحدة مقسومة إلى جناحين الأول ذكوري والثاني نسائي (يمثل الاتجاه الإسلامي النسائي أو الحركة النسائية الإسلامية العالمية). وهذا يقتضي أن يكون لكل حركة من الحركات الإسلامية جناح خاص ـ قسم خاص ـ للنساء ترأسه واحدة منهن وله الاستقلال الذي يخدم أهدافه ضمن الحركة العامة.

أما من السنة: فقد قال الرسول ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»، والطائفة هي الجماعة من المسلمين أو الحزب أو التنظيم أو الحركة التي تبقى على الحق وتتفاعل معه وتأخذ الإسلام حلاً متكاملاً ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾ ويحرصون على تطبيقه في كل منحىً من مناحي حياتهم.. ولكن تبقى هذه الجماعة جزءاً من جماعة المسلمين وليست جماعة المسلمين. لقول الرسول ﷺ «... طائفة من أمتي...» أي من أمة محمد ﷺ الأمة الإسلامية.

ومن أقوال السلف الصالح:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلّا بطاعة».

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك».

ويقول ابن تيمية رحمه الله: وأما لفظ الزعيم فإنها مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى: ﴿**ولمن جاء به حمل بعير وإنا به زعيم**﴾ فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال: هو زعيم فإن كان قد تكفل بخير كان محمود على ذلك، وإن كان شراً كان

مذموماً على ذلك. وأما رئيس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لا يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان(١).

مقارنة سريعة:

إن الرسول ﷺ قد شكل أول تنظيم إسلامي حركي في مكة في دار الأرقم، وقد تشابهت الحركة الإسلامية الحديثة في الكثير من أمورها بالحركة الإسلامية المكية الأولى ومن ذلك:

الحركة الإسلامية المكية الأولى القرن السابع الميلادي	الحركة الإسلامية الثانية القرن العشرين ميلادي
* هدفها تعبيد الناس لله وتحكيم كتاب الله وإقامة الخلافة الإسلامية	هدفها تعبيد الناس لله وتحكيم كتاب الله وإعادة الخلافة الإسلامية
* اعتمدت على التربية المركزة للأفراد قبل المواجهة وتأسيس جيل قرآني فريد	اعتمدت على التربية المركزة للأفراد قبل المواجهة وتأسيس جيل قرآني فريد
* اعتمدت في فترتها الأولى على سرية الدعوة وسرية التنظيم	اعتمدت على علنية الدعوة وسرية التنظيم
* ولائها لله ولرسوله والمؤمنين	ولائها لله ولرسوله والمؤمنين
* مكونة من قانون إلهي وقيادة وأفراد وتعمل على أرض غير إسلامية	مكونة من قانون وقيادة وأفراد وتعمل على أرض غير إسلامية التشريع

(١) صادق أمين/ الدعوة الإسلامية ص (٣٧).

* واجهت كفر قريش وعنتها وأصحاب المصالح الدنيوية التي تتعارض مع الإسلام	واجهت الجمود والتخلف الإسلامي والفكر المنحرف وأصحاب المصالح التي تتعارض مصالحها مع الحركة أو مع الإسلام
* تعرضت لأشد أنواع التعذيب من قريش وما لانت وما ضعفت	تعرضت لأشد أنواع التعذيب من الأنظمة والحكومات القائمة وما لانت وما ضعفت
* هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة والمدينة المنورة وهربا من بطش قريش	هاجر عدد من أفرادها في بعض البلدان العربية إلى بلاد مجاورة
* تآمر كل المحيطين عليها لاجهاضها	تآمر كل المحيطين على الحركة لاجهاضها مسبقاً قبل إعادة الخلافة الإسلامية
* قامت على أكتاف الرجال والنساء معا	قامت على أكتاف الرجال والنساء معا
* ظهرت المرأة بتشكيلة عقلية عقدية حركية فريدة	ظهرت المرأة بتشكيلة عقلية عقدية حركية فريدة
* شكلت الدولة الإسلامية	في الطريق إلى التشكيل إن شاء الله

من هذه المقارنة السريعة نرى بأن الظروف التي أحاطت بالحركة الإسلامية الأولى تشابه إلى حد كبير الظروف التي واجهت وتواجه الحركة الإسلامية الثانية وبالتالي ما أباحه الإسلام في الحركة الأولى لتحقيق الهدف والغاية سيبيحه الآن لتحقيق نفس الهدف ونفس الغاية ولتشابه الظروف إلى حد كبير.

هل إقامة الحكم الإسلامي مسؤولية الرجل دون المرأة:

قال رسول الله ﷺ: «النساء شقائق الرجال» وهذا الحديث النبوي يعني أن النساء نظيرات الرجال ومثيلاتهم في الأخلاق والحقوق والواجبات بل وحتى في الكثير من الطباع. ولأنهن شققن منهم إذ أن حواء خلقت واشتقت من آدم . . ونقول

هذا شقيق هذا، إذا انشقت نصفين.

إذن فالشقيقـان هما الأمران المتشابهان ذوا الأصل الواحد انشقا عن بعضهما البعض فهمـا مشتركان في معظم الصفات غالباً إلا بعض الصفات الخاصة التي أرادها الله، ليس هنا مجال ذكرها.

وقد قدمت هذه المقدمة البسيطة حتى أصل إلى أن وحدة الأصل بين الذكر والأنثى تعني وحدة الحقوق الممنوحة لكليهما وبالتالي وحدة الواجبات أو التشابه الكبير على الأقـل. إن وحـدة الأصل ووحدة الحقوق الممنوحة ووحدة الواجبات المطلوبة يعني بالتالي وحدة الغاية التي خلقا من أجلها.

إذا اتفقنا على هذا التشابه الذي يكاد يكون كاملاً بين الرجل والمرأة واتفقنا أن الغاية واحدة واتفق الكثير من الرجال كذلك أن العمل الحركي هو إحدى أهم الطرق لتحقيق الغاية الكبرى للإسلام وهو تطبيقه على أرض الواقع، بل يرى البعض أنه لا يوجد طريق غيرها. إذن لماذا يهمل البعض الدور الحركي للمرأة في عملية التغيير.

إذا كان الرجل والمرأة المسلمان متشابهين كل هذا التشابه في كل ناحية من نواحي الحياة فهـل يمكن أن يختلفـا كل الاختـلاف في طريقـة تحقيق الغـاية الكبـرى؟.. هذا من جانب ومن جانب آخـر لنفتـرض جدلاً أن العمل التنظيمي النسائي لا يساهم في تحقيق الغاية الكبرى، فما هي الطريقة المنظمة الأخرى التي يمكن أن تشارك فيها المرأة لتحقيق الغاية الكبرى..

إن تماثل الأصل والغاية والمصير حقيقة لا جدال فيها ولا يختلف عليها إثنان فهل حارب الصحابة وجاهدوا دون المرأة، هل طلب الإسلام من الرجال دخوله دون النساء، هل بايع الرسول ﷺ الرجال بيعة العقبة ولم يبايع النساء.. هل حكم على الزاني المحصن برجمه والزاني غير المحصن بالجلد ولم يحكم على المرأة، هل قطع يد السارق ولم يقطع يد السارقة، هل حرم أكل لحم الخنزير للرجال وأباحه للنساء، هل توعد الرجال بالعذاب دون النساء، هل وعدهم بالجنات دون النساء،

هل قصر الإسلام بناء مجتمع الفضيلة على الرجال من دون النساء، وهل عنى الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ هل عنى بها الرجال من الإنس دون النساء. لا شك أن النفي هو الجواب الشافي لكل هذه التساؤلات فالإسلام أشرك الرجل والمرأة في كل شيء وحملهما مسؤولية كل شيء. - إلا بعض التفاصيل الثانوية ليس هنا مجال ذكرها - ولنتأمل هاتين الآيتين من قصة آدم عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ [البقرة].

إن هذا الجزء من القصة يبين لنا المسؤولية المشتركة بين آدم وحواء - فالبرغم كما تقول بعض المصادر كالتوراة - إن حواء هي التي أغرت آدم بالأكل من الشجرة أي هي التي حثت على ارتكاب الخطيئة إلا أن الله حملهما المسؤولية معاً «فأزلهما» وكان جزاء الذنب والخطيئة واقعا عليهما معا. «قلنا اهبطوا منها جميعاً» فهذا الجزء من القصة يبين لنا التشابه الواضح بين المرأة والرجل وواجباتهما والغاية من وجودهما أصلاً ووحدة الثواب والعقاب، فقد نهاهما الأثنين عن الأكل من الشجرة وأزلهما الشيطان معاً وأخرجهما الله من الجنة معاً.

إن الإسلام ما أهمل في المرأة الأمور التي قد تبدو صغيرة جداً ولا أهمية لها إذا ما قورنت بتحكيم كتاب الله على الأرض فقد علمها كيف تغني في الأعراس وكيف تتهيء لزوجها وتتزين له... الخ. إذا كان الإسلام قد علم المرأة كل شيء واشركها في كل شيء فهل يعقل أنه قد يهملها في أهم شيء وهو العمل على تحكيم كتاب الله؟ لا يعقل إطلاقاً.

ومن ينكر جهاد أم عمارة - نسيبة بنت كعب المازنية - رضي الله عنها في سبيل الله والدفاع عن حياض الدولة الإسلامية الفتيه والقضاء على عقبة كؤود من العقبات التي تواجه المد الإسلامي في التوغل في قلوب العرب وسادتهم - قريش - والتفرغ

بعد ذلك لنقل الانقلاب الجديد إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية ومن ثم إلى كل بقاع الأرض.

من ينكـر جهـاد خولة بنت الأزور رضي الله عنها، لنفس الغاية وتوسيع دائرة العبودية لله وتعبيد عبدة النار إلى عبادة رب النار، من يستطيع أن يتبجح ويقول إن اشتراك أم عمارة وخولة كان اشتراكاً عفوياً لم يخطط له وفوضوياً دون تنظيم مسبق، وغيرهن كثيرات ذكرهن التاريخ أو لم يذكرهن.

إن المرأة المسلمة ما تقاعست وما توانت عن العمل لتحكيم كتاب الله ضمن صفوف الحركة التحررية الإسلامية العالمية آنذاك والتي كانت على رأسها خلافة ـ زعامة أو قيادة ـ راشدة، بل كانت عنصراً رئيسياً لحركات التغيير الإلهية التي قادها إخـوانهن الرجال فهي إن لم تشارك المشاركة الفعلية في الجهاد فقد شاركت من خلال تزويد الخط الجهـادي بطاقات إيمانية جديدة تكمل وتواصل طريق التغيير ربتها المرأة المسلمة الحركية تربية حركية خاصة لتحقيق المعروف الأكبر في المجتمع.

و بذلك تكون المرأة قد فهمت دورها التغييري وإن اختلف في التفاصيل عن دور الرجال، إلا أنه يبقى دوراً حركياً طليعياً نهضوياً للبعث الإسلامي.

ومن جانب آخر إن حركة النهوض بالبعث الإسلامي إذا قام بها الرجال فقط، فهي ستكـون محـاولة عرجاء أو عوراء إذ أنها ستكون كالذي ينفخ في كرة مثقوبة فيتعب نفسه ولا تنتفخ الكرة، إلا بعد معالجة الثقب، وهكذا هنا. فالنصف الآخر إن كان معطلاً فإن طير التغيير سيطير بجناح واحد، فهو لا يستطيع الطيران طبعاً وإن استطاع فسرعان ما يقع من جديد على الأرض فكما أن الطائر لا يطير بجناح واحد فكـذلـك الانقلاب الإسلامي لا يمكن أو على الأقل من الصعب أن نرى نتائجه بسهولة ويسر بدون اشتراك المرأة. فإن نجح ولا بد فسيحتاج إلى أمد طويل وقد يطول الأمد جداً فبمشاركة المرأة يوفر جزءاً كبيراً من الطريق للوصول إلى الهدف.

ثم إن من أسباب تأخر عودة التحكيم لكتاب الله هو طلاق المرأة عموماً، للفضيلة والخلق الكريمة وهجرها لحياة العفة وجهلها بمهمتها في هذه الدنيا وإن عرفت مهمتها فقصورها في توظيف الفهم الصحيح لخدمة قضية النهضة النسوية والانقلاب الإسلامي.

فإصلاح المرأة والحال هذه يعني إصلاح نصف المجتمع وإن إصلاح المرأة لا يتم إلا عن طريق المرأة نفسها فالمرأة أقدر على التفاعل والتعامل مع المرأة ويصبح إصلاح المرأة للمرأة واجباً تقتضيه الضرورة، وإن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتخذ الشكل المنظم العام إلا من خلال جماعة توجه عملية الإصلاح النسائية وعلى ذلك تصبح الحركة النسائية واجباً باعتبار القاعدة الشرعية التي تقول ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

بين تنظيم الرجال وفوضوية النساء:

قد يدعي البعض أن العمل الحركي لا يليق بالمرأة وقد يقول آخر إن العمل الحركي قد يؤثر على أنوثتها ويقول ثالث إن التحديات التي تواجه المرأة داخل الجسم الحركي من الصعب تحملها من ناحية المرأة. وقد يقول رابع إن العمل الحركي قد يؤثر على حياة المرأة الأسرية وربما ادعى خامس أن ما تحصل عليه المرأة من فوائد من العمل الحركي يمكن أن يجر إلى سلبيات داخل الأسرة وذلك من خلال قوة الشخصية التي قد تحصل عليها المرأة وهي التي قد تؤثر ـ أحياناً ـ على علاقاتها سلباً مع زوجها، وقد يقول سادس إن تحكيم كتاب الله مهمة الرجل دون المرأة، ويقول سابع دعوا المرأة وشأنها فإنها لا تستحق منكم هذا الاهتمام، وغيرهم وغيرهن من أصحاب وصاحبات الآراء المثبطة التي تدفع إلى الخلف وتهمل الإبداع النسوي البناء.

نقول لهؤلاء وأمثالهم كيف نقبل أن يدخل الرجل جسماً حركياً يعمل من خلاله، ونطلب من المرأة أن تبقى فوضوية وتعمل بعفوية وبدون تخطيط وتنظيم.

«إن الذي يرفض فكرة التنظيم في العمل الإسلامي كأنه بالتالي يدعو ويحرض على فوضوية العمل الإسلامي. والفوضوية لم تكن في يوم طريقة من طرق أو مبدأ من مبادىء الإسلام أو شعاراً من شعاراته، وإنما هي إحدى شعارات الحركة اليسارية المتطرفة التي عرفها تاريخ الحركة الشيوعية في الأربعينات والخمسينات[1].

«ثم إن الدعوة إلى رفض فكرة التنظيم في العمل الإسلامي هي بالتالي دعوة إلى رفض مبدأ التخطيط، وبالتالي إلى العفوية والارتجال وهو نهاية الارتكاس الذي يمكن أن يصل إليه المسلمون، ويتلهف إليه أعداء الإسلام والمتربصون به والمكيدون له»[2].

وهكذا فإن الذي يدعوا إلى إبعاد المرأة عن معترك العمل الحركي فهو بالتالي يدعو إلى فوضوية العمل النسوية وفرديته وعفويته وارتجاليته.

وهذا قد يكون إحدى أشخاص:

فهو إما أن يكون من الناقمين على المرأة أو ممن يسمون بأعداء المرأة[3]، وإما أن يكون جاهلاً بأهمية دور المرأة في الحركة التغييرية للواقع الجاهلي وإما أن يكون من الحريصين على بقاء الواقع الإسلامي الراهن على حاله النكوص والهزيمة عن طريق تعطيل وتغييب النصف الآخر وإبقائه فوضوياً ارتجالياً في كل أعماله. وإما أن تكون امرأة عاشت وتريد أن تعيش الحياة المكياجية وحياة الترف الاجتماعي وترى في مثل هذا العمل ما يعيق حياتها المكياجية. وإما أن تكون امرأة تتميز بالخمول

---

(١) فتحي يكن/ ابجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي ص ٢٠.

(٢) فتحي يكن/ نفس المصدر والصفحة.

(٣) إن لقب عدو المرأة أو عدوة الرجل لقبان مثيران للضحك والسخرية فلو قلد الناس هؤلاء السذج لأصبح الناس فريقين على طرفي نقيض ولا ندري عله يحرم الزواج وحتى الكلام بين الرجال والنساء ـ الطرفين المتحاربين ـ ولا أدري هل نحن في أرض معركة يتحارب فيها المتصارعون. أم ماذا؟ هذا قولهم.

والكسل وترضى الراحة مع الفقر على الغنى مع التعب وترضى بالواقع المؤلم على أن لا تتحرك من كبوتها وسباتها العميق. وإما أن يكون جهلاً بطبيعة الإسلام نفسه وعدم توفر فهم كاف للإسلام.

ولا أدرى هل لا يليق بالمرأة أن تعظ المرأة وتعلمها، وهل لا يليق بالنساء أن يتساعدن معاً للخروج من المأزق الجاهلي الجديد، ولو أن مجموعة من النساء اجتمعن واتفقن على المساهمة في حل المشكلات العامة، هل هذا يتعارض مع الأنثوية؟

ونقول للثاني إذا كان العمل الحركي (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تؤثر على أنوثة المرأة، وهو مجرد كلام ـ أحياناً ـ فكيف لا يؤثر على أنوثتها خروجها للعمل الوظيفي وأحياناً تقوم بأعمال شاقة في بعض أماكن العمل، بل قد تقوم بأعمال ليلية خارج بيتها. كالتمريض وغيره.

ونقول للثالث على رسلك فهناك من النساء من يعجز الرجال عن تحمل الأذى والتعذيب كما تتحمله ولا أريد أن أعود للقرن السابع الميلادي لأم عمار أو أم عمارة، ولكن اذكر بعض الأمثلة في القرن العشرين على سبيل المثال لا الحصر مثل أمينة قطب التي حكم عليها بالسجن لمدة عشر سنوات في زمن جمال عبد الناصر وزينب الغزالي التي حكم عليها ٢٥ سنة في نفس السجون ونفس الزمن تقريباً، وغيرهن كثيرات.

وليسمع أمثال هذا الرجل أو تلك المرأة قول الله تعالى في مطلع سورة العنكبوت: **﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾** إن الناس هنا هم الرجال والنساء وليس الرجال وحدهم، وإن الامتحان والفتنة التي لا بد منها تكون للأثنين، والاثنان معاً لا واحداً دون الآخر، وإن الأذى والتعذيب هو من سنن الدعوات الربانية ولا بد منهما ولا بد أن يواجههما جيل التغيير المنشود برجاله ونساؤه.

ونقول للرابع: إن من أهداف وغايات وفوائد إشراك المرأة في العمل الحركي الإسلامي تنظيم أسرتها وحمايتها من أقذار الجاهلية المعاصرة وإن الطريق الأول لتحقيق الغاية الإسلامية الكبرى لا تتحقق إلا بإصلاح البيت المسلم وإصلاحه مسؤولية المرأة أولاً قبل الرجل فهدف الحركة النسائية الإسلامية هو الحفاظ على البيت المسلم وتوجيه طاقات ربة البيت إلى هذه الغاية، فالعمل الحركي إن كان ولا بد سيؤثر على وضع المرأة الأسري فنحن نقر بذلك ولكن تأثيراً إيجابياً لا تأثيراً سلبياً فهو تأثير بناء لا تأثير هدم كما يتصور البعض.

ونقول للخامس: إن المرأة التي تؤثر فيها الحركة النسائية هي المرأة الجديرة بالانتساب إليها ونعتقد معه أن الحركة تقوي من شخصية المرأة وتشكل فيها شخصية قيادية قادرة على قيادة الأسرة أولاً قيادة ناجحة، إلا أن هذا لا يعني إطلاقاً أنها تخرج عن طورها كزوجة داخل البيت الصغير وإن زوجها مسؤول عنها المسؤولية الكاملة: فقد قال الله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ولم يقل جعلنا بينكم عداء ولم يوصف الرسول ﷺ بأنه عدو المرأة أو خديجة أنها عدوة الرجال، بل قال صاحب الرسالة: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»، وقال كذلك «حُبّب إلي من دنياكم الطيب والنساء» فليتق الله كل من يخرج أو تخرج عن هذا الخط التربوي الرباني. بل إن الحركة تعلمها كيف تطيع زوجها على الحق مهما كان الحق مراً عليها.

أما السادس: فقد كانت الصفحات السابقة توضح لموقفه أو موقفها ورداً على رأيه وتوضيحاً لدور المرأة واشتراكها في تغيير الواقع المأسوي.

أما السابع: فإننا نقول له إن شقيق الشيء شبيهه ورسولنا ﷺ يقول: «النساء شقائق الرجال» فإذا كانت المرأة لا تستحق هذا الاهتمام فأنت كذلك لأنك شقيق شبيه لها في كل شيء في العبادات، المعاملات، الأخلاق، العقوبات وكل شيء إلا ما نص عليه الشارع الحكيم من اختلافات بينهما في الأمور الفرعية التي لا تؤثر

على تحقيق الغـايات الإسلامية الكبرى، فإن كنت تستحق الاهتمام فهي كذلك تستحق نفس الاهتمام.

ونقول له عد إلى الكتب التي تحدثت عن المرأة في الإسلام وهي كثيرة ترى من خلالها إن كانت المرأة تستحق الاهتمام أم لا وقبل ذلك راجع كتاب الله العزيز وكتب الحديث النبوي الشريف لترى مقدار اهتمام الإسلام بالمرأة.

اعتراض وجوابـه:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «أولويات الحركة الإسلامية» ص ٧٤ حول خروج المرأة ما يلي:

«سيقول المتشددون: كيف تطلبون من المرأة المسلمة أن يكون لها دور بارز في الحركة الإسلامية وأن تتحرك وتقود وتثبت وجودها في موكب العمل الإسلامي الزاحف؟ وهي مأمورة بالقرار في بيتها بنص القرآن الكريم **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى﴾** [الأحزاب: ٣٣].

وجوابي لهؤلاء الاخوة الغيورين: أن الآية خطاب لنساء النبي، وهؤلاء لهن من الخصوصية ما ليس لغيرهن، وعليهن من التغليظ ما ليس على سائر النساء، وقد قال تعالى في خطابهن: **﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾** [الأحزاب]، ومع هذا لم تمنـع هذه الآية عائشة أم المؤمنين من الخروج في معركة الجمل، وتطالب بما تعتقـده حقاً في شؤون السياسة، ومعها من كبار الصحابة رجلان رشحا للخلافة، وهما من العشرة المبشرين بالجنة.

وما روى ضمن ندمها على هذا الموقف، فليس لأن خروجها من بيتها لم يكن مشروعاً، بل لأن رأيها في السياسة جانبه التوفيق، غفر الله لها ورضي عنها.

على أننا لو أخذنا برأي من يقول: إن الآية لعموم النساء فإنها لا تعني أمساكهن في البيوت لا يخرجن منها، فإن هذا الإمساك ذكره القرآن عقوبة لمن ترتكب الفاحشة

ويشهد عليها الشهود الأربعة، وذلك قبل استقرار التشريع على الحد المذكور في القرآن والسنة قال تعالى: **﴿واللاتي يأتين الفاحشة منكم من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾** [النساء: ١٥].

ثم إن قوله تعالى في الآية: **﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾** يدل على مشروعية الخروج المحتشم غير المتبرج، والمرأة لا تنهي عن التبرج داخل بيتها فإن لها أن تلبس وتتزين فيه متى شاءت، إنما تنهى عنه إذا خرجت إلى الطريق أو السوق أو غيره مما هو مظنة التبرج».

إن قبولنا بواقع تنظيمي حركي للرجال ومن باب المساواة بين الرجل والمرأة يقتضي بقبول واقع تنظيمي حركي آخر للنساء، له نفس الحقوق والواجبات ويشترك في تحقيق الأهداف والغايات.

ولهذا كله فإننا ندعو كافة النساء إلى دخول معترك العمل الحركي النسائي الإسلامي حتى لا تبقى تعيش في عفوية قاتلة وفوضوية وارتجالية لا أساس لها من الدين الحنيف. ومن هنا فإننا نرى ولهذه الاعتبارات جميعها ـ مفهوم التنظيم وحكمه واشتراك المرأة مع الرّجل في إقامة الحكم الإسلامي وإعادة الخلافة الإسلامية وأبعاد المرأة عن الفوضوية في العمل التي هي نقيض الترتيب والنظام ـ إنها اعتبارات كافية لدفع المرأة دفعاً للانخراط في الحركة النسائية التحررية الإسلامية العالمية.

الفصل الثالث

الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة

الفصل الثالث

الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة

إن الإسلام عندما أراد أن يرتقي بتشكيل شخصية المرأة هذا الارتقاء الجديد والتشكيلة الغريبة الجديدة لا أقوال غريبة عما سبقها من النساء فقط، لا بل غريبة حتى على نساء القرن العشرين، إن الإسلام عندما أراد السير في طريق تشكيل شخصية المرأة عمل على إعادة تشكيل عقلها وفكرها وابدلها بعقلها عقلاً جديداً وفكراً جديداً وتصوراً جديداً للكون والحياة والإنسان أساسه البعد العقدي الفطري. فأصبحت تنظر إلى الأشياء بمنظار آخر وتزن الأمور بميزان جديد. لقد أجرى الإسلام انقلاباً بكل المقاييس على أولويات التفكير النسوي واهتماماته مشكلاً عقلها شكلاً جديداً متبايناً تبايناً تامّاً عما سبقه من عقول نسائية وعما تبعه من عقول نسائية عاشت في هذا القرن الذي ابتعد معظم أهله عن الإسلام.

لقد بلغ من اهتمام الإسلام بالعقل إن جعله مناط التكليف وإن لا دين لمن لا عقل له وهو الذي يميز بين الإنسان وغيره من المخلوقات فالعقل هو الإنسان بل كل الإنسان وهو الطاقة المحركة له المتحكمة فيه، والتي توجهه الجهة التي يريد. لذا فقد حرص الإسلام كل الحرص على تنمية هذا العقل بتوجيهه إلى طرق جديدة في التفكير وتشكيل العقل الإسلامي التقويمي الناقد سواء للرجل أو المرأة، ولكن الذي يهمنا هنا:

أولاً: لماذا أراد الإسلام إعادة تشكيل الفكر والعقل النسوي؟.
ثانياً: كيف استطاع الإسلام إعادة هذا التشكيل؟

إن الإسلام أراد هذا التشكيل الجديد لعقلية المرأة حتى تشارك في تحقيق الانقلاب الإسلامي الشامل مع الرجل جنباً إلى جنب، ولكونها أيضاً جزءاً من

الانقلاب الإسلامي نفسه وأراد لها أن تشارك عن وعي وتدبر وتخطيط وإدراك لا أن تشارك لمجرد المشاركة أو عن جهل أو غفلة فإن أعيد تشكيل عقلها فستكون مشاركتها تدبيرية لا تدميرية ومشاركة عقلية ووجدانية لا مشاركة عفوية آنية سرعان ما تنهار أمام أول زوبعة قد تصيب كيانها الذاتي الخاص أو كيانها الذاتي العام إذا لم تعتمد على أساس ركين من جذور إيمانية وعقلية راسخة في أعماق النفس التي ما ألفت المشاركة في العمل العام قبل الإسلام، وحتى وإن شاركت فستكون مشاركتها نتيجة مقاييس أو معايير جاهلية وقبلية وعصبية نتنة نهاها عنها الإسلام أو مشاركة إباحية أدت إلى سقوط الجمر على المجتمع فأحرقته وأهلكته.

وأراد الإسلام للمرأة أن تعمل في النشاط المجتمعي العام أو في العمل الاجتماعي الإنساني وتشارك مشاركة فعالة في بناء الذات الكبرى العامة بعد أن تبني ذاتها الصغرى الخاصة. لذا كان لا بد من إعادة تشكيل العقل النسوي المسلم.

وإذا كان للرجل اليد الطولى في بداية هذا الانقلاب الإسلامي الشامل فقد أصبح للمرأة في ظل الانقلاب الجديد اليد الطولى في المحافظة عليه وديمومة عطائه العقدي الذي يعتبر نقطة الجوهر في عالمية الإسلام وكذلك ديمومة عطائه الفكري والحضاري والمادي وسلطت الأضواء على المرأة في البناء السلوكي والعطاء الأخلاقي الذي يعتبر حجر أساس في العطاء الحضاري الإسلامي ونقطة الفصل بين البناء والهدم وذلك من خلال تخريج جيل من القادة والزعماء أو العلماء الذين تربوا في أحضان أسر وأمهات تشكلت عقولهن وفق المعطيات العقدية الربانية الجديدة والمعطيات الحضارية الإسلامية، فكانت المرأة والحال هذه المعين الذي لا ينضب في تزويد الأمة بالكوادر الإيمانية المتجددة، ولعل هذا السر هو الذي جعل الإسلام يضع الأسرة على رأس أولوياته التجديدية، ويجعل إعادة صياغة عقل المرأة على رأس برنامجه التغييري.

ولذلك وضع الإسلام قدسية خاصة لنشاطات المرأة المسلمة البيتية وإن كانت

قليلة في الظاهر إذا ما قيست بعمل الرجال إلا أن أجر هذا العمل القليل يعادل أجر العمل الكثير الصعب الذي يقوم به الرجال من الجهاد والعمل والصلاة في المسجد. . . الخ. بل إن اهتمام المرأة ببيتها وتربية أولادها وطاعتها لزوجها على الحق يعادل ذلك كله ففي الحديث: «روي أن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها ـ أتت إلى النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت يا رسول الله: «إني وافدة النساء إليك إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء. فآمنا بك واتبعناك وإنّا معشر النساء محصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهادة الجنائز وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى. وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو مرابط أو معتمراً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الخير والأجر يا رسول الله. فالتفت الرسول ﷺ بوجهه الكريم إلى أصحابه ثم قال: «هل سمعتم مقال امرأة أحسن من هذا عن أمر دينها. فقالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبي ﷺ ثم قال: انصرفي ايتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء إن طاعة الزوج اعترافاً بحقه يعدل ذلك وقليل منكن من تفعله»، أخرجه البزار والطبراني.

ومن هنا نرى أن الإسلام عندما أراد أن يبني مجتمعه الجديد اهتم بالمرأة اهتماماً خاصاً لبناء المجتمع الإسلامي الكامل المتكامل عقدياً ووظيفياً وسلوكياً.

فإذا كانت مهمة المرأة السابقة للإسلام الامتاع الجنسي والايلاد فقد أصبح لها في ظل الإسلام مهمة جليلة أخرى بل من أهم مهماتها وهي أن تتوجه بروحها وتوجه ابناءها نحو الجهاد لتحقيق عالمية الإسلام، فإذا كانت من أولى مهماتها التوجه نحو حركة الانقلاب الإسلامي الجديد والتوجيه التربوي السليم له، فقد حقق الانقلاب عالميته وديمومته ويحقق عالميته وديمومته، من خلال العناصر النشطة التي ربتها الأسرة المسلمة التي عرفت ولزمت. عرفت أن الجهاد والاستشهاد هما سبيل الأمة إلى النصر والمحافظة على المكتسبات، بل وفتح أبواب جديدة نحو المد الإسلامي، ولزمت بيتها تربي أولادها على الجهاد والتضحية لتحقق الغاية الكبرى

للبعث الإسلامي . وعرفت المرأة المسلمة أن المحافظة على الأخلاق والسلوك العام في المجتمع هو مهمتها أولاً ـ قبل الرجل ـ فإن ساء سلوكها فقد ساء سلوك المجتمع وحلت الكارثة ، عرفت ذلك ولزمت طرق الوقاية والعلاج للمحافظة على ذاتها وذاتية المجتمـع للوصول إلى المجتمع الإسلامي النظيف لا مجتمع الخسة والرذيلة ، أو مجتمـع الخيانة العظمى ، لقد عرفت المرأة المسلمة واجبها ومالها وما عليها أقوال عرفت ولزمت .

وإذا كان الرسول ﷺ قد ربّى الصحابة تربية خاصة تتناسب مع الدور الحضاري العظيم الذي سيقوم به الإسلام ويكونون هم دعاته ومبشريه ومريديه رجالاً ونساء ، فقد تركت مهمة التربية والتوجيه من بعده وإكمال نمو البناء الحضاري الإسلامي العالمي لشخصين من أمته ﷺ ، وهما العالم والأم اللذان يؤثران على تشكيل مجتمع التغيير وصياغة الجيل الانقلابي المنشود . فالأم تحتضن وتربي وتوجه داخل الأسرة الصغيرة والعالم يربي ويوجه داخل الأسرة الكبيرة المسلمة بل وقد يتعداه إلى خارج حدود دولة الإسلام .

فالعالم الحق هو الذي يجعل المجتمع بين يديه يسيِّره وفق القرآن والسُّنة ، بل هو المحـرك الـرئيسي لأفـراد المجتمع ، فكل الناس يتوددون إلى الملوك والأمراء والسلا طين إلا العلماء المخلصين فيتودد إليهم الملوك ويأتونهم طائعين ، أما الأم فهي صاحبة المهمة الجليلة التي تخرج أجيال التغيير المنشود من مدرسة الأسرة[1] .

لقـد أظهـر التـاريخ قادة المعـارك الإسـلامية من الرجال واظهرهم أنهم هم المنتصرون الحقيقيون وربما كان هذا هو الحق بالنسبة لغير المسلمين ، أما بالنسبة

---

(١) ومنهم من هم علمـاء سوء وهم الـذين عبدوا غير الله بطاعتهم المطلقة الوجدانية والعلمية والعملية لملوك وسلاطين السوء . ومن الامهات من هن أمهات سوء ربين أطفالهن على منهج غربي وافد أو منهج محلي مخالف للشريعة الإسلامية وأصبحت هي نفسها قدوة سيئة لبنات جنسها فهبطت إليها الخسة والرذيلة وهدمت المجتمع ومزقته شر ممزق .

للمسلمين فقد كانت لمعاركهم أكثر من قياده: الأولى: قيادة ربانية لمن أحسن عبادة الله وأخلص له والثانية: قيادة ذكورية واضحة تناقلتها كتب التاريخ وسير المعارك، أما القيادة الثالثة: والتي أهملت من كتب التاريخ والسير فقد كانت قيادة من نوع خاص تعمل بهدوء أنها قيادة الأمهات للمعركة من خلال تزويد الجندي بمتطلب سابق للمعركة وهو ارضاعه عشق الجهاد في سبيل الله وارضاعه قناعات معينة وهي ترسيخ ديمومة الإسلام والحفاظ عليها وعالمية الإسلام والعمل عليها. وهما هدفان رئيسيان للدعوة الإسلامية العالمية الدائمة. ولا يمكن أن تتحققا إذا لم يشكل الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم وهذا من الصعب أن يتحقق إذا لم تؤمن المرأة بعالمية الإسلام وضرورة العمل على ديمومته، فإن أيقنت وعملت على ذلك فسرعان ما توجه ابناءها نحو تحقيق هذه الغاية المنشودة وتعمل على تشكيل ميولهم واتجاهاتهم واهتماماتهم بما يخدم تحقيق الهدف السامي. نرى من ذلك أن المرأة تشكل عنصراً رئيسياً مؤثراً تأثيراً بالغاً في صياغة عقلية الطفل المسلم والأسرة المسلمة وبالتالي توجيه ركب المجتمع المسلم.

والسؤال هنا: كيف استطاع الإسلام إعادة صياغة وتشكيل العقلية النسائية؟

لقد شكل الإسلام عقلية التفاعل والتغيير وذلك بالتركيز على:

أولاً: تشكيل عقلية النقد والتقويم والاختيار.

ثانياً: تشكيل عقلية التحدي.

ثالثاً: تشكيل عقلية البناء العام.

رابعاً: تشكيل العقلية الاستقلالية.

أولاً تشكيل عقلية النقد والتقويم والاختيار:

ونعني بها العقلية القادرة على تقويم وتصحيح الأوضاع المجتمعية القائمة أو الأوضاع الشخصية داخل الأسرة وهي القادرة على اختيار الغث من السمين في كافة مناحي الحياة.

فالإسلام وضع إطاراً عاماً لكل منحى من مناحي الحياة، وأبقى للإنسان أن يتشكل وفق المعطيات الجديدة وكان على المرأة ـ والرجل ـ أن يضعا مبادىء الإسلام في كفة والمفاهيم أو المبادىء السابقة في الكفة المقابلة واختيار الأصلح والأنفع والأبقى وفق معيار صحيح، ثم اختبار المبادىء الجديدة للوصول إلى نتائج محددة، ولا يمكن الوصول إلى نتائج صحيحة إلا بعقلية ناقدة مفكرة مقومة لا بعقلية جاهلية مقلدة.

لقد بنى الإسلام في المرأة التفكير الناقد أو الفكر التقويمي منذ بداية الدعوة وذلك من خلال وضع الدين الجديد مقابل المعتقدات القديمة ومحاكمة المعتقدات في ساحة العقل والمنطق وتعريضهما لأشعة العقل التقويمي لاختيار الأحسن وبذلك يكون الإسلام قد صاغ في المرأة العقلية الناقدة منذ دخولها الإسلام، إن الإسلام عندما طلب من الرجل والمرأة الدخول في الإسلام إنما أراد أن يدخلا عن قناعة وترسيخ عقلي.

إن اصلاحات الإسلام النسائية تصبح جوفاء لا قيمة لها لو أهمل الإسلام تشكيل عقلية التفكير النقدي للمرأة، إذ أن معظم اصلاحات الإسلام النسائية بحاجة لمثل هذه العقلية التي لم تكن موجودة عند النساء اللواتي سبقن الإسلام ـ إلا في حالات شاذة ونادرة وفردية ـ فانظر مثلاً إلى حرية البنت في اختيار زوجها بنفسها ألا يصبح هذا الحق أجوف إذا لم يهيء عقل المرأة بالقدرة على الاستفادة من هذا الحق وذلك عن طريق تزويدها بمعايير للقياس والاختيار مقاييس مادية معنوية وروحية؟.

والأصل أنه قبل احقاق الحق لا بد من أن يهيء جواً مناسباً يتعامل مع الحق الجديد، أي بمعنى آخر لا بد من توفر عقلية مناسبة تتفاعل مع الحق الممنوح. وإلا فكم في العصر الحديث من فتيات أو نساء فشلن في التعامل مع الحق الممنوح لهن وفي كثير من الأحيان يكون السبب العقلية النسائية التي تبرمجت عقليتها على تنفيذ

الأوامر الصادرة لها سواء من الأم أو الأب أو غيرها دون مناقشة أو تساؤل بسيط فهي على ذلك عقلية منفذة وليست مقومة وعقلية متبعة لا عقلية ناقدة وعقلية مقلدة لا عقلية مبدعة. ولعلنا لو دخلنا أعماق الذات لديها لوجدنا أن رأيها غير الذي تلفظت به. ولكن ليس في اليد حيلة، ولو بحثنا عن السبب لوجدناه الغياب الكامل أو الجزئي لشخصية المرأة ولفكرها الحر واغتيالاً لعقلها واعتقالا لارادتها ـ وهي ربيبة الجامعة ـ فكيف بالتي لم تكمل المرحلة الإعدادية أو الثانوية لا شك أن حالها أشد وأنكى. واستطاع الإسلام تشكيل العقلية الناقدة في المرأة وذلك من خلال عدة طرق:

١ـ توحيد المعيار القياسي للأمور التي من خلاله تستطيع المرأة أن تواجه الرجل والمجتمع إذا ما حاول النيل من حريتها وكرامتها. والمعيار هنا القرآن والسنة وهما مصدرا التشريع الرئيسيان والمقياس أو المعيار التي تقاس به كل الأمور، فعندما يوحد المقياس أو المعيار وتتجه الأنظار الذكورية والأنثوية للتحاكم إليه باعتباره الفيصل بين أي متخاصمين تصبح المرأة إذا ما طالبت بحق تعتمد على الأصل التشريعي الرباني الذي تعتقده المرأة ويعتقده الرجل، فالتشريع الرباني قدم للمرأة خدمة كبرى من خلال جعله تشريعاً يعمل به الأفراد والحكومات على سبيل الوجوب والإلزام لا على سبيل الندب والاستحباب، وبذلك يصبح لزاماً على الدولة المحافظة على حقوق النساء إذا ما هضمت من بعض الرجال وهكذا أصبحت المرأة تقيس الأمور بهذا المقياس وتقبل هذه الفكرة وترفضها بناء على قربها أو بعدها عن المعيار الثابت الكامل الشامل الرباني العالمي.

النقطة الثانية أن المرأة جَنَتْ فائدة أخرى من هذا التشريع الإلهي الثابت إذ أن كل امرأة أصبحت تعرف ما لها وما عليها نتيجة ثبات المعيار الجديد فأصبح قانون المرأة واضحاً تعرفه المرأة ويعرفه الرجل على السواء، وغير قابل للتغيير والتبديل بل ثابت مما يساعد المرأة حفظ الأمور التي تهمها عن ظهر قلب دون العودة إلى المحامين وأهل القانون، فالقانون الثابت يسهل حفظه خصوصاً عند الأميين

والأميات نتيجة نقله جيلاً عن جيل دون تغيير أو تحريف، وكذلك فالقانون الكامل الشامل يريح المرأة من البحث عن حل مشكلاتها مهما كانت هذه المشكلات ومهما كان حجمها فما من مشكلة تواجه المرأة إلا وفي هذا القانون عرض لها وعلاج. وعندما يكون القانون ربانياً فهو يلزم المجتمع والحكومات بتنفيذه، فيكتفى أن تعرض قضية المرأة أمام الحكومات الإسلامية المخلصة فتحل بلا أدنى مواربة إذ أن القانون الوضعي الإنساني غير الرباني من السهل الميسور التحايل عليه والخروج من أي مشكلة مهما كانت مستعصية، أما القانون الرباني فيصعب الخروج منه بالتحايل وذلك نتيجة القدسية الخاصة والمراقبة الذاتية للقانون الإلهي في نفوس أتباعه، وكذلك فإن ربانية الحل يقابلها عدالة القانون ودقة المعيار وسلامة المقياس فعلى المرأة أن تستوعب هذا المعيار وتطالب بمطالبها التحررية بناء عليه حينئذٍ سيصبح لمطالبها قدسية خاصة لارتباطها بمعيار مقدس عند كل أتباعه[1].

٢ـ حرص الإسلام كل الحرص على تشكيل العقلية الناقدة للمرأة من خلال تعليمها من حلال وحرام وشؤون البيت والأسرة وحث على تعليمها بعض الأعمال الأخرى مثل التمريض وتعليم البنات... الخ. فالعلم والتعلم هما مادة العقلية الناقدة الرئيسية وبدونهما لا عقلية مفكرة أو مقومة أو ناقدة أو مغيرة أو ثائرة فلا نقد ولا تقويم

(١) يظهر في كثير من الأحيان للمطلع على قضايا المرأة ما كتبته بعض الكاتبات حول قضية المرأة غياب وحدة القياس لمعالجة المشكلة أو القضية فهي مثلاً تقبل بالإسلام لأنه طالب بتعليم المرأة وأعطاها حق الإرث وأعطاها حق اختيار زوجها بنفسها ووضع حقوقها بقالب قدسي وقد تطالب بتطبيق الإسلام من هذا الجانب فقط وبنفس الوقت فلسانها أو لسان حالها يطالب بتطبيق الاشتراكية بحجة أنها فتحت فرصة أكبر لعمل المرأة خارج بيتها وقد تبجل المجتمع الغربي وتطالب المرأة العربية بمشابهته لأنه أعطى المرأة حرية شخصية من نوع آخر أكثر من غيرها من المجتمعات المعاصرة فلها أن تلبس ما تشاء وأن تصادق من تشاء من الرجال دون قيد أو شرط، بل ولها أن تزني مع من تشاء دون رقيب أو حسيب عليها، وهكذا فإننا نرى غياباً واضحاً لمقياس أو معيار محدد تقاس به مشكلات المرأة في المجتمعات العربية الحديثة وغير العربية.

ولا تصحيح إذا لم يسبقه علم كاف ومعرفة بالأمور التي تحتاج إلى تقويم والتعليم النسائي الذي حرص عليه الإسلام هو مقياس بل أساس العقلية الناقدة وقد منحت المرأة هذا الأساس ولم يبق عليها إلا استغلاله الاستغلال الأمثل.

إن عقلية النقد لا تكون إلا عندما توجد مشكلة تحتاج إلى حل أو أن هناك أمرين مختلفين أو أكثر والمطلوب أن يميز الخبيث منهما من الطيب وهنا يظهر دور العقلية الناقدة جلياً واضحاً، وهنا لا بد من التذكير بأن الإسلام فتح باب حرية تفكير المرأة على مصراعيه وعليها أن تختار أصلح الأمور لها اختياراً مسؤولاً لا اختياراً عشوائياً أو جاهلياً. ينحرف عن المعيار الصحيح السليم الذي وضع لها لقياس أمورها جميعاً.

وسنتناول حادثة من الحوادث التي حصلت مع الرسول ﷺ وزوجاته تبين هذه الحادثة درجة الارتقاء الإسلامي بعقلية المرأة وقدرتها على اختيار الأنسب والأصلح لها، وهذه الحادثة هي حادثة التخيير لزوجات النبي ﷺ بين البقاء عند الرسول ﷺ أو فراقه بالمعروف. ونريد أن نتناول هذه الحادثة من خلال عرض سيد قطب لها في كتابه في ظلال القرآن، يقول عز وجل في سورة الأحزاب: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الأخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾**.

يقول سيد قطب: (ولقد بلغ الأسى برسول الله ﷺ من مطالبة نسائه بالنفقة أن احتجب عن أصحابه وكان احتجابه عنهم أمراً صعباً عليهم يهون كل شيء دونه، وجاؤوا فلم يؤذن لهم. روى الإمام أحمد بإسناده، عن جابر رضي الله عنه، قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس والنبي ﷺ جالس فلم يأذن له ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنه زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر

إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي ﷺ، ما ليس عنده فنهاهما الرسول ﷺ فقلن والله ما نسأل الرسول ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، قال فأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فقال إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتي تستأمري أبويك فقالت: ما هو قال: وتلا عليها: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك...﴾ الآية قالت عائشة: أفيك استأمر أبواي بل اختار الله ورسوله وأسألك لا تذكر لأمرأة من نسائك ما اخترت فقال النبي ﷺ إن الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلما ميسراً لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها).

«وفي حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية في نفوس نساء النبي ﷺ في المتاع، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبي ﷺ ونسائه رضي الله عنهن وهن أزواج يراجعن أزواجهن في أمر النفقة فيؤذيه هذا، ولكنه لا يقبل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة، فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية تصفى وترفع، لكنها لا تخمد ولا تكبت ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختيار لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط فيفرح قلب رسول الله ﷺ بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السامي الوضيء».

«ونقف كذلك أمام تلك العاطفة البشرية الحلوة في قلب الرسول ﷺ وهو يحب عائشة حباً ظاهراً ويحب لها أن ترتفع إلى مستوى القيم التي يريدها الله له ولأهل بيته فبدأها بالتخيير ويريد أن يساعدها على الارتفاع والتجرد فيطلب إليها ألا تعجل في الأمر حتى تستشير أبويها وقد علم أنهما لم يكونا يأمرانها بفراقه كما قالت، وهذه العاطفة الحلوة في قلب النبي ﷺ لا تخطىء عائشة رضي الله عنها، من جانبها في إدراكها فتسرها وتحفل في تسجيلها في حديثها، ومن خلال هذا الحديث يبدو النبي ﷺ إنساناً يحب زوجته الصغيرة فيحب لها أن ترتفع إلى أفقه الذي يعيش فيه وتبقى معه في هذا الأفق الوضيء، ثم نلمح مشاعرها الأنثوية كذلك وهي تطلب إليه أن لا

يخبر أزواجه الأخريات أنها اختارته حين يخيرهن وما في هذا الطلب من رغبة في أن يظهر تفردها في هذا الاختيار وميزتها على بقية نسائه في هذا المقام، وهنا نلمح عظمة النبوة من جانب آخر في رد رسول الله ﷺ وهو يقول لها: «إن الله تعالى لم يبعثني معنفاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً لا تسألني واحدة منهن عما اخترت إلا أخبرتها» فهو لا يود أن يحجب عن إحدى نسائه ما قد يعينها على الخير ولا يمتحنها امتحان التعمية والتعسير بل يقدم العون لكل من تريد العون كي ترتفع على نفسها وتتخلص من جواذب الأرض ومغريات المتاع».

«هذه الملامح البشرية العزيزة ينبغي لنا ـ ونحن نعرض السيرة ـ ألا نطمسها ولا نهملها ولا نقلل من قيمتها فادراكها على حقيقتها هو الذي يربط بيننا وبين شخصية الرسول ﷺ وشخصيات الصحابة رضي الله عنهم برباط حي فيه من التعاطف والتجارب ما يستجيش القلب إلى التأسي بالعمل والاقتداء الواقعي».

إننا من خلال هذه الحادثة ـ وقول سيد قطب فيها ـ التي جعلها الله قرآناً يتلى نرى الكم الهائل من اهتمام الإسلام بعقلية المفاضلة والنقد ووضع مقوم العقل الناقد ـ العلم وعدم التعمية ـ أمام المرأة لتحسن الاختيار فلا اجبار ولا دكتاتورية بل هي عقلية إسلامية شورية نقدية، وحتى لو كان المختار رسول الله ﷺ، ولكن تبقى هذه المفاضلة وهذا التخيير ضمن إطار الإسلام العام لا يخرج عنه قيد أنملة، فإن خرج عنه فقد تحول العقل الناقد التخييري الذي أراد تشكيله الإسلام إلى عقل منحرف وعلى شاكلة تختلف عن العقلية التي أرادها الإسلام في تشكيلته الجديدة للعقل المسلم.

فعقلية الاختيار والنقد والتقويم هي العقلية التي تفرق بين الحق والباطل وفق معيار صحيح ثابت، أما عقلية التحدي فهي العقلية التي تتحدى الباطل وتقف في وجه الخطأ وتجاهد في سبيل الحق، فعقلية النقد هي عقلية التفريق بين الحق وغير الحق، أما عقلية التحدي فهي تحدي غير الحق.

ثانياً: تشكيل عقلية التحدي:

ونعني بها الشخصية أو العقلية التي تتفاعل مع الخير العام و الخاص وتعمل له وتتحدى ما لا تراه خيراً سواء لذاتها الخاصة أو الذات العامة. وإن رأت الشر يتبختر في الطرقات تسارع لاستنكاره وقد تتحدى الإرادة التي فرضت عليها الأمر الجديد دون إرادة منها ضمن الاطار العام للاسلام. ولا تخرج بتحديها عن هذا الاطار.

إن التحدي للواقع المأسوي يكون انعكاساً مباشراً للعقيدة التي تحملها الذات النسائية على النظم البالية القائمة، لذلك ارتبط تحدي المرأة المسلمة لواقعها البالي وعقلية التغيير فيها برباط وثيق مع العقيدة الإسلامية التي تحملها وظهر انعكاسها على سلوكها العام. وبمقدار تمكن عقيدة الثورة فيها يكون قد تكّون لدى المرأة عقلية التحدي للواقع المأسوي البالي.

إن المنهج الجديد جاء منذ الوهلة الأولى متحدياً لكافة العلاقات الصنمية التي كانت قائمة ومتحدياً لهمجية العبودية ومتحدياً لغوغائية التشريع ومتحدياً لغابية العلاقات الاجتماعية ومتحدياً لتأليه الأسياد وبالإجمال كان متحدياً للأمر الواقع التي عاشت فيه الإنسانية بشكل عام وقريش بشكل خاص كان تحدياً بكل المقاييس فهو إن جهر بالدعوة تحدى سادة قريش وإن صبر تحدى إرادة قريش وإن هاجر تحدى مخطط قريش وإن حارب فليصمد أمام التحدي ثم ينقض على متحديه الأول أو يدخله في الدين الجديد، وهكذا كانت السيرة النبوية تحدياً لكل قوى الكفر منذ اللحظات الأولى للدعوة الجديدة.

وهكذا عاشت مجموعة الصحابة معهم الصحابيات رضوان الله عليهم اجمعين حياة التحدي منذ اللحظات الأولى للدعوة الجديدة وساهمت المرأة المسلمة في انتصار المتحدي الإسلامي الضعيف ظاهراً القوي واقعاً بما حوى من أمثال هذه العقول التي أبدعت العقيدة في صياغتها بشكل فريد، ويكفي النساء شرفاً أن أول دم مسلم نزل في المواجهة والتحدي بين المسلمين الضعفاء البؤساء الفقراء وبين

أصنام الرجعية والتخلف من رجال قريش كان دم امرأة فكانت بذلك شهيدة التحدي البشري العقدي الإلهي للكفر وإعوانه وتشرفت بأنها أول شهيدة في الإسلام وأول ضحايا التحدي المرير مع أصنام الرجعية.

إن سمية بنت خياط زوجة ياسر وأم عمار، أول شهيدة في الإسلام ما هي إلا أمة لأبي حذيفة بن المغيرة، لا تستطيع أن تنبس بكلمة تعارض فيها سيدها أو تراجعه على الأقل فكيف إذن تعارض بني مخزوم مجتمعين، بل كيف تعارض قريش عن بكرة أبيها، وما هي إلا أمة ولا يصل الأمر إلى مجرد المعارضة بل تتحداهم تحدي القوي الصابر في ثوب الضعيف الخائر وتتحدى وتصبر على أذاهم وتعذيبهم حتى اخترق الرمح الضعيف جسدها القوي البالي، إن هذه الأمة المعدومة في مجتمع همجية الرجال وصنمية الاعتقاد وغابية العلاقات ابدعتها العقيدة الصحيحة السليمة وشكلت عقلها وشخصيتها تشكيلاً غريباً عن الواقع المعاش يتسم بعقلانية المواجهة وبعقدية التحدي، بل إننا لم نقع على مدار التاريخ على امرأة تحدت مجتمعها الغابي كما تحدته سمية للحفاظ على دينها وذاتها من العودة إلى صنمية العبودية، وهي لم تكن بعد إلا برعماً في جسم الإسلام اللين ومع ذلك شكل الإسلام فيها العقيدة الربانية التي تتناغم تناغماً تاماً مع الفطرة الإنسانية السليمة فكان لها الانعكاس المباشر على عقليتها فأبدع الإسلام نماذج من النساء قلما نجد مثيلاً لهنَّ في التحدي والعقلانية والإرادة الصلبة.

ولنرى عبقرية نسائية أخرى بلغ الحال فيها من الشجاعة والإرادة والتحدي ما أصبح مضرب الأمثال:

لقد شاركت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، في غزوة أحد وثبتت مع القلائل الذين ثبتوا وحملت سيفها تقاتل في سبيل الله دون رسول الله ﷺ حتى قال ﷺ: «ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني»، وكان ابنها عبد الله وزوجها غزية بن عمر يقاتلون في صفوف المسلمين، فأصيب ابنها عبد الله فربطت جراحه، ثم

قالت له: «انهض بنا نضارب القوم فقال النبي ﷺ: «من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة» لقد قاتلت أم عمارة أشد القتال حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، فقال الرسول ﷺ: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» عند ذلك قالت أم عمارة: «ما أبالي ما أصابني من الدنيا».

لقد عرضنا هاتين الحادثتين حتى نرى من خلالهما الارتقاء الإسلامي في صياغة عقليات أتباعه وتعاملهم مع الواقع الجديد بروح المواجهة الفريدة فسمية تفاعلت مع الدين الجديد كل التفاعل بعد أن طرز الإسلام تفكيرها بطراز جديد حتى وصلت إلى هذا الحد من الجرأة والتحدي للباطل، انّا كان مصدره. وأم عمارة التي ثبتت مع القلائل الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ في غزوة أحد لمواجهة جيش جرار ويصاب ابنها بجرح فتربطه وتعيده إلى أرض الوغى، أين عاطفة الأمومة عند هذه المرأة؟ لماذا لم تستغل فرصة التقهقر للمسلمين وتهرب مع ابنها وترجع إلى المدينة بدلاً من أن تضحي بابنها وبنفسها وزوجها، لكنها العقيدة التي عاشت معهم فعاشوا لها وجاهدوا لها فأوصلتهم منازل العُلى بإذن الله. أليس ذلك طرازاً فريداً في تشكيل عقلية التحدي وتشكيل الذات النسائية القوية؟

ولكن حتى نقدر عبقرية البناء الإسلامي لعقلية المرأة الرافض للباطل لا بد من عرض صورة لعقلية المرأة المعاصرة (إن وجدت).

إن النساء في هذا القرن انقسمت إلى قسمين كبيرين، الأول منهما وهو السواد الأعظم من النساء اللواتي تشكلت شخصياتهن تبعاً للظروف المحيطة فتشكلت فيهن عقلية «الانا مالية» أي عدم الاهتمام بالغير وحتى لو كان هذا الغير المجتمع وترك المجتمع وشأنه وكأنه لا يعنيها فهي قد ترضى بالظلم الواقع عليها وعلى بنات جنسها، وترضى بواقع المجتمع مهما كان حاله وشكله، وذلك إما نتيجة لعدم قناعاتهن بطروحات التغيير الجديدة لشؤون المرأة والمجتمع باعتبار أن معظم هذه الطروحات مستوردة من مجتمعات تختلف جملة وتفصيلاً عن مجتمعاتنا المحافظة

ذات الصبغة الإسلامية، وإما لعدم قدرتها على تحدي الأوضاع القائمة، فهي إن حاولت التغيير فسوف تواجه المجتمع الذي لا يرحم، وإما لعدم قناعتهن برائدات الحركة النسائية الحديثة، خصوصاً بعد أن ثبت علاقة العديد منهن بالاستعمار الغربي، وقد يكون لخوفها إن دخلت ضمن تنظيم نسائي إسلامي من الحكومات المتتالية. وقد يكون السبب لا هذا ولا ذاك، بل لأميتها خصوصاً إذا ما علمنا أن نسبة كبيرة جداً من النساء العربيات تحت مظلة الأمية وقد يكون لأنّ الواقع المجتمعي شكّل عقلية المرأة وفق برمجة معينة من الصعب للغاية إجراء تعديل على هذه البرمجة. وغالباً ما تكون أمثال هذه النساء قد تربين في أسر لا مبالية بواقع المجتمع العام، وبواقع القطاع النسائي بشكل خاص. وأمثال هذا الصنف لا ينظر إليه في مجال التغيير الاجتماعي لأنه يتأثر بالتغيير الاجتماعي دون أن يؤثر فيه. أي أنها تنتظر من يغيّر الواقع الاجتماعي ومن ثم تتفاعل مع الواقع الجديد.

وهذا الصنف من النساء لا يكلف نفسه سؤال الذات لماذا فعلت هذا الفعل الاجتماعي فهي تفعل فقط دون السؤال عن فوائده وأضراره. فكيف لمثل هذه أن تتحدى الواقع هذا التحدي المشوب بالأخطار فهي مثلاً إن تحجبت فلا تعرف لماذا تحجبت وما الحكمة منه، وإن خلعت الحجاب لا تدري ولا تقدر نتائج ذلك، بل إنها لا تستطيع أن تقنع نفسها إقناعاً عقلياً بخلع الحجاب. وهي قد تضع على وجهها المساحيق ولا تقدر نسبة الهدم الذي تساهم فيه جراء هذه المساحيق وما فيها من إثارة.

إن هذا النوع من النساء همها الأول إثارة الرجال وكيف تجعلهم يوجهون انتباههم لها ويحصرون اهتمامهم بها، وأن تكون محط انظارهم وإن معظم تصرفاتها اليومية تعكس هذه الحاجة فلا تهتم إلا بالموديلات والموضات فكيف لهذه المرأة أن تهتم بالصالح العام، وأن تتحدي لأجل المجتمع. إن أكبر مصيبة يواجهها المجتمع (المرأة الموضة). ومن أجل أن تتخلص المرأة ويتخلص المجتمع من هذه المصيبة

فعلى المـرأة أن تتجـرأ وتتحدى نفسها أولاً قبل أن تتحدى الآخرين للوصول إلى مجتمع الحرية والألفة والفضيلة.

فأمثال هذه النساء لا يشعرن بقيمة الحياة إلا ما يعكس أشراقها على ذاتها لا على مجتمعها وتتعامل مع الـ «أنا» وكأنه معبود من دون الله.

هذا الصنف من النساء لا يستحق أن ينظر إليه في التغيير الاجتماعي الايجابي لأنه العنصر الخامل عن الخير اللامتحدي من أجله وهو العنصر النسائي المتحرك في هدم الفضيلة والتحدي السلبي وهذا عنصر هدم لا عنصر بناء فلندعه وشأنه.

أمـا الصنف الثـاني من النسـاء فهن اللواتي عملن تحت ظل حركات نسائية انتشــرت في الشــرق وهـذا الصنف يقسم إلى قسمين الأول منهمـا الحـركيات الإسلاميات مثل الأخوات المسلمات ولهن حديث آخر. والثاني الحركات النسائية الأخرى وهن مجال الحديث هنا.

هذه الحركات لم تواجه التحدي التغييري الذي واجهته المرأة المسلمة سواء في السـابق أو في الحـاضـر، فقد وصل بالمرأة المسلمة أن تعذب وتسجن وتحرق في سبيل الفكرة الإسلامية، ولم يكن لها معين على الشر والأذى الحكومي الذي انصب عليها، بل إن الحركات النسائية الحديثة وقفت إلى جانب تعذيب المرأة المسلمة في السجـون العـربية وذلك بسكوتها على الأقل عن تعذيب المرأة المسلمة وفي السكوت إقرار وموافقة عليه، وإذا لم يكن هناك إقرار وموافقة من الاتحادات النسائية العربية على تعذيب المرأة المسلمة فهي على الأقل لم تستطع أن تنبس بكلمة في وجه القيادات العربية تطالب بالتخفيف من العذاب عنهن، فكيف تتحدى الصنمية كما تحدته المرأة المسلمة الحديثة. إن الحركات النسائية صنعت في المرأة عقلية الماكياج لا عقلية المواجهة ومقاومة الباطل.

إن المرأة المسلمة لم تجد لها نصيراً على الخير، أما الحركات النسائية الحديثة فقد وجدت أكثر من نصير على الهدم والتخريب إذ أن جو التغيير بالنسبة إليها صحو

وإن كانت تظهر فيه بعض الغيوم غير الماطرة فالمرأة العربية المعاصرة لم تتحد ولكن وجدت أرضاً محروثة وجاهزة للبذار فبذرتها ببذرها المسموم.

ولعل لذلك عدة أسباب فمنها أنها غالباً ما ارتبطت الحركات النسائية بالاستعمار ـ خصوصاً في أول عهدها ونشأتها ـ الذي دعمها كل الدعم ودربها ووضع لها خط السير الذي يجب أن تسير عليه وفقاً لمصلحته وأهدافه فوفر لها سبيل الحماية لتحقيق أهدافه ومنها كذلك ارتباط الحركات النسائية بالعائلات الأرستقراطية المتنفذة فإن أرادت الحركات النسائية الحديثة المطالبة بمطالب جديدة ـ غير المرسوم لها ـ أو بمعنى آخر تخرج عن حدها فهذا سيعرض الوضع الارستقراطي لعائلتها للخطر خصوصاً إذا كان أحد أفراد العائلة الارستقراطية عضواً في الحكومة أو ذا وزن في المناصب العليا. وكذلك فإن خروج معظم رائدات الحركة النسائية من بيوتات عالية جعل معظم مطالب الحركة مطالب ميكاجية قشورية ـ على الأقل في ذلك الوقت ـ.

إن مساعدة الأنظمة والحكومات العربية للحركات النسائية الحديث باعتبارها مدعومة من الاستعمار صاحب اليد الطولى في البلدة في تلك الفترة ولكونهم ربيبي الاستعمار وكذلك حالة التفكك العام الذي أصاب الأمة سواء كان تفككاً اجتماعياً أخلاقياً أو اقتصادياً أو سياسياً، وحتى تفككاً أسرياً، فأصبحت الأمة أحزاباً وشيعاً منقسمة على ذاتها.

هذه أسباب عدة ساعدت على تشكيل عقلية الاستجابة في المرأة العربية المعاصرة، لذلك لم تبن الحركات النسائية الحديثة عقلية المواجهة، وإن حاولت المطالبة ببعض الحقوق النسائية فهل هناك من رائدات الحركة النسائية من سجنت يوماً واحداً لفكرها التحرري فكيف إذن بقتلها. فشتان شتان بين عقلية التحدي التي بناها الإسلام في أتباعه وبين عقلية الاستجابة التي بناها الا ستعمار في أتباعه.

فهل استطاعت مثلاً امرأة عربية أن تقف في وجه زعيم عربي وهي تعيش في ظل القرن العشرين قرن الديمقراطية وحكم الشعب كما وقفت المرأة المسلمة في

وجه الخليفة عمر بن الخطاب وهي تعيش في ظل الإسلام وشورى الإسلام وعدله تنهاه عن التدخل في شأن من الشؤون النسائية وأمام الجمع من المسلمين في المسجد ونذكر الحادثة لنذكرك. ذكر ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر بن الخطاب: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهى الناس عن زيادة المهور وخطب فيهم قائلاً: «لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال» ثم نزل فقامت امرأة في صف النساء طويلة في أنفها فطس فقالت: «ما ذلك لك» قال ولم؟ «قالت إن الله تعالى قال: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[1] فقال عمر: امرأة أصابت وأخطأ رجل كل الناس أفقه من عمر» ثم رجع وركب المنبر فقال: «يا أيها الناس كنت قد نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن (مهورهن) على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت به نفسه فليفعل» وإننا من خلال مقارنة بسيطة سريعة نخرج بالتالي:

إن الإسلام ارتقى بعقلية المرأة للبناء أما غيره من التيارات فقد شكل عقليات هدم نسائية.

إن عقلية التفكير الناقد هي عقلية التفريق بين الحق والباطل كما أسلفنا، أما عقلية التحدي فهي عقلية الوقوف في وجه الخطأ والباطل مهما كان مصدره، أما عقلية البناء العام فهي العقلية التي تتفاعل مع الحق وتعمل له وتجاهد في سبيله. فالأولى عقلية تفريق. والثانية عقلية مقاومة. أمّا الثالثة فعقلية تفاعل.

ثالثاً: تشكيل عقلية البناء العام:

ونعني بها العقلية التي تتفاعل وتؤثر وتتأثر ايجابياً وتفيد وتستفيد وتأخذ وتعطي من وإلى المجتمع المحيط بها وتشارك مشاركة فاعلة في تنميته وبنائه البناء القوي

---

(١) النساء ٢٠.

السليم الخالي من عوامل الهدم، فالعقلية الجديدة المسلمة صيغت صياغة البناء العام فهي إن خرجت فللبناء، وإن دخلت بيتها فللبناء، وإن عملت فللبناء وللصالح العام. وهكذا أصبحت المرأة تتفاعل مع المجتمع بروح جديدة للبناء أياً كان موقعها.

وإننا لا نستطيع أن نقف أمام التفاعل الايجابي النسوي مع الواقع الجديد ـ سواء أكان تفاعلاً تفكيرياً أم تفاعلاً اجتماعياً تغييرياً تجمعياً ـ للمرأة المسلمة إلا إذا ألقينا شعاعاً سريعاً على طبيعة التفاعل الذي كان قائماً بين المرأة قبل الإسلام وبين مجتمعها ونتناول مثالاً واحداً حول ذلك من المجتمع الاسبارطي ومثالاً آخر يمثل الحضارة الحديثة ونأخذه من فرنسا كمثال لواقع المرأة الحديثة في التفاعل السلبي مع المجتمع حتى نرى من خلال هذين المثالين التجديد على شخصية وعقلية المرأة ودورها في البناء العام أو دورها في الهدم العام، ثم مقارنة ذلك بالتجديد الإسلامي وإعادة صياغة عقلية المرأة المسلمة.

«فالمرأة اليونانية لم تكن تشارك في النشاطات العامة في بداية أمرها ولا تؤثر في مسار المجتمع، أما في اسبارطة فقد توسعوا في إعطائها شيئاً من الحقوق المدنية فأعطوها شيئاً من حق الإرث وأهلية التعامل، وما كان ذلك سماحاً منهم واعترافاً بأهلية المرأة وإنما كان لوضع المدينة الحربي حيث كان أهلها في حرب وقتال فكان الرجال يشتغلون في الحرب دائماً ويتركون التصرف في حالة غيبتهم للنساء ومن هنا كانت المرأة في اسبارطة أكثر خروجاً إلى الشارع وأوسع حرفة من أختها في أثينا وسائر مدن اليونان ومع هذا فقد كان ارسطو يعيب على أهل اسبارطة هذه الحرية والحقوق التي أعطوها للمرأة ويعزو سقوط اسبارطة وانحلالها إلى هذه الحرية والحقوق»(١).

«وفي أوج حضارة اليونان تبدلت واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات

(١) مصطفى السباعي/ المرأة بين الفقه والقانون ص (١٣).

فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنا أمراً غير منكر وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب ثم اتخذوا التماثيل العادية باسم الأدب والفن ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة فمن آلهتم (افروديت) التي خانت ثلاثة آله وهي زوجة إله واحد، وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم ثم لم يتبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل وأقاموا لذلك تمثال (هرموديس) و (ارستوجتين) وهما في علاقة آثمة وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا»(١).

هذا مثال عن المرأة السابقة للإسلام وسنعطي مثلاً آخر عن المرأة الحديثة من فرنسا فلا يشك أحد في مقدار الحرية التي حصلت عليها المرأة الفرنسية بل إنها ركبت مركب الحرية وأسرع فيها المركب حتى فقدت السيطرة على مقود القيادة فتدهورت حالة المرأة الفرنسية والمجتمع الفرنسي وذلك من خلال الأمراض الخبيثة المعدية التي أصابت المجتمع الفرنسي والسبب بيع الأسرة الفرنسية «بثمن بخس» فأصبحت الأسرة لا قيمة لها وتربية الأولاد والنفقة على الزوجة والأسرة من الأمور الهامشية التي لا يهتم بها. أما شباب وشابات المجتمع الفرنسي فيكفيهم أنهم باعوا الأسرة فباعتهم الصحة واشترتهم الأوبئة فأصبحوا باسم الحرية يخربون بيوتهم بأيديهم، ويحطمون مجتمعهم شر تحطيم حتى لاحت نذر الهلاك في الأفق واضحة بينة.

إن المرأة الفرنسية الحديثة والاسبارطية القديمة خرجت بلا ضوابط حتى تساهم في بناء المجتمع وتشارك في الانتاج فكان ذلك وبالاً عليها وعلى المجتمع الذي تنتمي إليه، بل إن انهيار المجتمع الاسبارطي في رأي ارسطو يعزى إلى هذه الحرية غير المعقلنة التي لا تحدها ضوابط وبالتالي فتح الأبواب أمام العمل الشائن تحت لافتة خدمة المجتمع وتأمين رغيف الخبز. والمرأة الفرنسية الآن ـ وغيرها من نساء

(١) نفس المصدر ص (١٤).

العالم ـ تسير خلف خطا اختها الاسبارطية في تهديم المجتمع لا بنائه حيث صيغت عقليتها بتشكيل يهودي خاص حتى تعمل على إفساد الشباب الفرنسي ـ وهذا ما تم فعلاً ـ ودخلت سوق الهدم العام والخاص بثوب البناء العام والخاص وطالبت بحقوق جديدة تحت ستار ما سمي بالحرية وهي في الواقع تحمل معول هدم الذات وهدم المجتمع تحت ستار دعوة الحرية الشخصية المزيفة.

وحتى لا يكـون كلامنا عاماً بلا أدلة نورد هذه الأقوال و الأرقام عن المجتمع الفـرنسي التي تبين مقـدار ما أصـاب المجتمع الفرنسي نتيجة فتح الأبواب على مصراعيها أمام ما سمي بالحرية الشخصية بلا قيداً أو ضابط وإعادة تشكيل عقلية المرأة الفرنسية والأوروبية والأمريكية بالقبول بالأوضاع القائمة مما أنزل فرنسا منازل الهلاك. يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودي في وصف المجتمع الفرنسي في كتابه الحجاب:

«إن أول ما قد جر على الفـرنسيين تمكن الشهـوات منهم اضمحلال قواهم الجسدية وتدرجهم إلى الضعف يوماً فيوماً، فإن الهياج الدائم قد أوهن أعصابهم، وتعبـد الشهـوات يكـاد يأتي على قوة صبرة وجلدهم وطغيان الأمراض السارية قد أجحف بصحتهم ويدل على ذلك عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن تعـفيهم من العمـــل وتبعثهم إلى المستشفيات في السنتين الأوليتين من سنين الحرب العالمية الأولى لكونهم مصابين بمرض الزهري (خمسة وسبعين ألفاً) وابتلى هذا المرض وحده ٢٤٢ جندياً في آن واحد في ثكنة متوسطة[١].

ويقول طبيب فرنسي نطاسي يدعى الدكتور «ليريد» إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري وما يتبعها من الأمراض الكثيرة كل سنة، وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الدق[٢].

---

(١) ص ٩١.

(٢) ص ٩٤.

«والنكبة الثانية التي قد جرها على التمدن الفرنسي طغيان الشهوة المطلقة ورواج الاباحية وقبولها هي خراب النظام العائلي وتقويض بنيانه. . فمثلاً سبعة أو ثمانية في الألف معدل النساء والرجال الذين يتزوجون في فرنسا اليوم ولك أن تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا تتزوج. . يقول عميد كلية شهيرة في فرنسا «لبول بيورور»: «إن عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضاً ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور أحراراً طلقاء ثم يأتي عليهم أحياناً من دهرهم يملون تلك الحياة الشريرة المتقلقلة فيتزوجون بامرأة بعينها حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ولذة المخادنة الحرة خارج البيت»[1].

«وإن زنا المحصنات والمحصنين لا يعد من العيب أو اللوم في فرنسا، فإذا كان أحد من المحصنين متخذاً خليلة دون زوجته فلا يرى لاخفاء الأمر من لزوم ويعد المجتمع فعله ذلك شيئاً عادياً طبيعياً في الرجال»[2]. ولهذا كله ضعفت رابطة النكاح وبلغت من الوهن أن ينبتّ حبلها لأدنى مناسبة وربما لم تزد مدة هذه الرابطة على أكثر من ساعات معدودة وربما كان الطلاق لأسباب تافهة تضحك الثاكل، مثل أن أحدهما لا يحب كلب الآخر»[3].

«ووأد النسل نكبة أخرى جرت إلى التمدن الفرنسي فمن ستين أو سبعين عاماً لا تزال الدعاية بحق حركة منع الحمل على أشدها، وقد زودت هذه الحركة كل رجل وكل امرأة من الأمة الفرنسية بمعرفة التدابير التي يستطيع معها أن يستمتع بلذات العلاقة الجنسية ثم يتقي عاقبتها الطبيعية أي الحمل والتوليد. . وإن السرعة التي لا يزال يخفض فيها معدل المواليد في فرنسا قد حدس منها العلماء والأخصائيون أنه يمنع توليد ستمائية ألف نسمة ـ على الأقل ـ في كل سنة من جراء هذه العادة المنتشرة في البلاد. . . وأما الحمل الّذي يستعصي على تلك الحيل والتدابير

---

(١) ص ٩١.

(٢) ص ٩٤.

(٣) ص ٩٤.

ويستقر فيخلص منه بالاسقاط ويمنع بهذا التدبير أربعمائة ألف نسمة أخرى من البروز ولا تباشر هذا الاسقاط العوانس والأبكار وحدهن بل تجاريهن في هذه السيئة المتزوجات أيضاً على قدم المساواة، ويعد هذا الفعل بريئاً من كل عيب في نواميس الأخلاق عندهم بل يعد حقاً من حقوق المرأة واجباً والقانون كأنه أغمض عينيه عنه مع أن الفعل جريمة في سجل القانون[1].

والأمـة الفـرنسية لا تزال تهبط فيها نسبة المواليد منذ ستين عاماً متوالية، ففي بعض السنين تزيد نسبة الوفيات على نسبة المواليد، وفي الأخرى تتساويان، وفي الثالثة لا تزيد نسبة الوفيات إلا بقليل جداً، ومن جانب آخر لا يزال عدد المهاجرين في فرنسا ينمو ويكثر فكانوا قرابة ثلاثة ملايين من بين اثنين وأربعين مليوناً من سكان فرنسا الأصليين سنة ١٩٣١، وإن استمرت الحال على ما هي عليه فلا يستبعد أن تعود الأمة الفرنسية عند ختام القرن العشرين أقلية في وطنها[2].

نخرج من هذا العرض لوضع اسبارطة ثم سقوطها بسبب جرافة الهدم النسائية ـ الجنس ـ بثوب الحقـوق والتحرر والبناء حتى أتت هذه الحقوق على المجتمع الاسبارطي وهدمته من أساسه وكذلك المجتمع الفرنسي الذي سرعان ما انهزم أمام القوات الألمانية في الحرب العالمية الأولى بسبب توضيع المرأة بدعوات براقة مثل حرية المرأة، حقوق المرأة، الحرية الشخصية، قمع السلطة الذكورية، الاستقلال الاقتصـادي عن الـرجـال، المسـاواة. . وغيرها من الدعوات فشكلت من خلالها المجتمـع الـوضيع الـذي لا يقدر على المواجهة أو المجابهة وأحد الأسباب وهو الحرية الشخصية غير المعقلنة وغير المعقلة.

إن الـدعـوات الحـديثة التي ظهرت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين المتمثلة بالدعوة لحرية المرأة هي دعوات ومحاولات ونجحت في بعض البلدان أكثر

---

(١) ص ٩٥.

(٢) ص ٩٥.

من نجاحها في بلدان أخرى ـ لاعادة تشكيل عقلية المرأة نحو تهديم الأسرة بهذه الشعارات البراقة وهي الحركة التي كان وراءها من يزودونها بوقود الحركة حتى تواصل الهدم بثوب البناء[1] هذا الذي أراده سماسرة الجنس والميوعة من إعادة تشكيل وضع المرأة في المجتمع لتتناسب مع مخططات التدمير التي يرزح تحتها العالم الآن ـ إلا من رحم ربي ـ.

لكن كيف استطاع الإسلام تشكيل المرأة تشكيلاً جديداً نحو البناء العام لا الهدم العام؟ إن الإسلام حرص على توضيح دور المرأة بانقلابه الجديد فبين لها دورين رئيسيين في المجتمع الجديد الأول منهما: تنشئة الأسرة ورعايتها والثاني: الحفاظ على الركن الأساسي للمجتمع وهو الأخلاق وهو الركن الذي للمرأة فيه حصة الأسد، بل إنه سرعان ما ينهار إذا ضعفت المرأة.

وللمرأة أدوار أخرى إلا أن هذين الدورين هما الأساسيان وإذا ماتضارب أي دور آخر مع هذين الدورين فيقدمان على سواهما باعتبار أن أي إخلال لاحدهما يعتبر إخلالاً بنظام المجتمع الإسلامي ويعرضه للانهيار الأكيد، وهذا ما رأيناه في المجتمع الاسبارطي وسنراه في المجتمع الفرنسي، فالإسلام لا يعارض أن تساهم المرأة في بناء المجتمع خارج بيتها شريطة ألا يتعارض ذلك مع الدورين الأساسيين لها في المجتمع الإسلامي.

---

(١) قد تكون بدايات ما سمي بقضايا تحرير المرأة نتيجة الظروف الجديدة التي مرّت على المرأة الأوروبية بسبب الثورة الصناعية وحاجة المرأة إلى منحها حقوق فعلية جديدة أي هي نتيجة طبيعية لتشكيل الجديد للمرأة الأوروبية إلا أن الدعوات التحررية النسائية ـ على الأقل فيما بعد ـ استغلت لتحطيم المجتمعات من قبل سماسرة الجنس واليهودية العالمية، وهذا يظهر جلياً في بروتوكولات حكماء صهيون، وكذلك تفاهم الماسونية والصهيونية والاستعمار على هذه النقطة في المجتمعات العربية وإجماعهم عليها فقد أرادوا استغلال دعوات التحرر النسائية لتخريب المجتمعات العربية.

أمـا بالنسبـة إلى الدور الأول فقد جعل الإسلام للمرأة الدور الأساسي فيه ـ ويشاركها فيه الرجل ـ فهو يجعل الأسرة حجر الزاوية في بناء المجتمع وهو بالتالي ينيط بالمرأة أهم وسيلة للحفاظ على المجتمع، وذلك من خلال الحفاظ على الأسرة ولـذلـك فهـو إن أوجب على المرأة العلم كالرجل فقد جعل العلم بشؤون البيت والأسرة أكثر قدسية وإن سمح لها بالعمل خارج المنزل فقد جعل للعمل داخله أكثر قدسيه وإن أمر بطاعة الوالدين فقد جعل طاعة الزوج ـ على الحق ـ أولى وأقدس ولهذا ركز الإسلام كل التركيز على المرأة المسلمة الأسرية باعتبار أنها حجر الأساس فيها وبدونها يصعب أن تتكون أسرة مسلمة سليمة التكوين إن لم يكن مستحيلاً.

لقد وزع الإسلام العمل بين الزوجين ـ الرجل والمرأة ـ بأعمال مخصوصة لكل منهما إلا أن ذلك لا يعني أن المرأة لا تستطيع أن تقوم بأعمال الرجل مطلقاً أو أن الرجل لا يستطيع أن يقوم بأعمال المرأة مطلقاً، إن كلاً منهما يستطيع أحياناً أن يقوم بعمل الآخر إلا أن توزيع الأعمال والواجبات أقوى للمجتمع وأفضل للحفاظ على كيانـه، وقـد تم توزيع الـوظـائف وفق الأنسب لكـل عمـل ووظيفـة، فالبذرة التي يحتضنها التراب هل يمكن أن تنمو هكذا عفوياً بدون ماء، لا شك أنه لا يمكن في الأغلب الأعم ووفق سنن الكـون وكـذلـك هل يمكن أن تنمو البذرة خارج التربة بواسطة الماء فحسب لا شك أنه لا يمكن وهكذا لا بد لها من حاضن الأم ولا بد لها من منفق الأب، فلو توافرت الأم الحاضنة ـ التراب ـ بلا منفق الماء لكانت عملية تربية الأولاد في غاية الصعوبة ولو توفر المنفق ولم تتوفر الحاضنة الصالحة للأنبات وتربية البذرة لكانت التربية كذلك مشكلة فلا بد من توافر الاثنين معاً حتى ينمو الطفل ـ البذرة ـ بشكل طبيعي سوي.

والمرأة عندما تركز على العمل البيتي وتجعله جل اهتمامها لا ينقص من قيمتها أو من مكانتها في المجتمع ولا يقلل من إنسانيتها وكذلك فإن العمل المفيد خارج البيت الذي تحافظ المرأة معه على نفسها من التبذل والاختلاط بالأجانب لا يقلل

من إنسانيتها وكرامتها ومكانتها وما أجمل أن تجمع المرأة بين الأثنين معاً بين تربية الأولاد والحفاظ على الأسرة ـ باعتباره الدور الأساسي ـ وبين العمل المفيد المنتج الـذي يتنـاسب مع طبيعـة المرأة كالتعليم والتمريض والخياطة. . الخ. وإن كان الجمع بينهما أحياناً في غاية الصعوبة، ولا بد أن يؤثر أحد الاهتمامين على الآخر، ولكن تبقى هذه المسألة تعتمد على فقه المرأة المسلمة لدورها في الموازنة بينهما دون أن يؤثر إحداهما على الآخر.

أما الركن الثاني لدور المرأة فهو بناء المجتمع النقي الصافي الذي تبذر فيه بذور الأخلاق إذ أن القسم الأكبر من مشكلة الأخلاق التي تواجه العالم أجمع تتحمله المـرأة فهي سبب الفسـاد الأول وبـالتالي فإنها سبب هدم الفضيلة في المجتمع وبالتالي سبب خراب المجتمع عن بكرة أبيه.

والإسـلام عندما يبني مجتمعه يحرص على ترسيخ الفضيلة في نفوس أتباعه وحـذر المـرأة من السقوط في وحل الفساد والأفساد بل اعتبر المرأة أساس انتشار الفساد وبيدها نشرة وبيدها منعه وبالتالي بيدها هدم المجتمع وبيدها بنائه فالإسلام إذا بنى الذات النسائية الخاصة بما أعطاها من حقوق فقد أوجب عليها أموراً جديدة للحفـاظ على الذات العامة، فإن أمرها بالاحتجاب فللحفاظ على الذات العامة والـذات الخـاصـة من الهدم والميوعة فالإسلام والحال هذه أخذ من المرأة لبناء المجتمع وأخذت في المقابل مكانتها الطبيعية الحقيقية في المجتمع.

فالفضيلة أساس العمران ولا يهدم إلا بعكسها وبهذا يكون مصير العمران بيد من بيده الفضيلة أو الرذيلة وهي طبعاً في المرأة، ولذلك قدم الله سبحانه وتعالى الزانية على الزاني في قوله تعالى: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** [٢ النور]، وهذا التقديم للزانية على الزاني لم يكن تقديماً عبثياً، وإنما كان عن قصد واضح وهو أن المرأة هي التي تزين للرجل الزنا

وهي التي تبدؤه فإن أرادته حصل وإلا فلا وإن كان الرجل شريك فاعل أيضاً في الجريمة وعليه قسم من المسؤولية يقول الرسول ﷺ أيضاً: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء، وإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

لقد أبدع الإسلام صناعة المجتمعات وأحسن الانتاج وقضى على عوامل الهدم ورسم عوامل البناء السلوكي والأخلاقي ووزع الحقوق بالعدل فاللمرأة حقها وللرجل حقه وللمجتمع حقه فعاشت الحضارة الإسلامية في أوج تقدمها، ولما اختل ميزان الحقوق اختل ميزان المجتمع وأصبح على حافة الانهيار ولم يبق له حتى ينهار انهياره النهائي إلا بعض الفضيلة في بعض النساء وقد رأينا هذا التناغم الواضح بين قطبي المجتمع الإسلامي ثم بدأ التناغم بالانحدار فبدأ الانحدار واضحاً في كل معالم المجتمع.

وهـذه هي المهمـة الكبـرى التي يجب أن تعيهـا وتعمل لها الحركة النسائية الإسلامية وتعرف ما لها وما عليها في سبيل تطوير الذات العامة، وإن نشر الفضيلة إحدى أهم مهماتها وإن هذا التناغم الجميل بين الفضيلة والمرأة ينشيء المجتمع التغييري الذي أراده الإسلام لقلب الأنظمة الكونية الإنسانية الجائرة.

وهكذا تكون الحركة النسائية الإسلامية التغييرية قد بدأت تؤثر في المجتمع المحيط وتـأخـذ على عاتقها كما أخذ بعض الرجال تغيير الأوضاع القائمة العامة السيئة إلى أوضاع أفضل يستفيد منها الرجال والنساء وكافة أفراد المجتمع.

إن عقلية التفريق ـ التفكير الناقد ـ وعقلية المقاومة ـ التحدي ـ وعقلية التفاعل ـ البناء العام ـ لا تأتي هكذا من فراغ ولكن لا بد لها من مقوم أساسي حتى تتشكل وتقوم أما مقومها الأساسي فهو العقلية الاستقلالية لا العقلية التبعية.

رابعاً: تشكيل العقلية المستقلة:

إن التفكير النـاقـد والاختيار الصحيح والتميز والتقـويم وعقلية البناء وعقلية

التحدي التي أرادها الإسلام للمرأة تعتمد اعتماداً مباشراً على العقلية المستقلة من التبعية للآخرين فالمرأة لا تستطيع أن تنكر أمراً من الأمور ولا تستطيع أن تتحدى الظلم الواقع عليها أو على المجتمع إذا لم تتميز بعقلية مستقلة في التفكير ضمن الإطار العام للإسلام وتتميز بحرية شخصية ضمن الفهم الصحيح للآيات والنصوص الشرعية فبمقدار استقلالية التفكير النسوي يكون الإبداع في تغييرها للوضع العام أما إن كانت المرأة مرتبطة في تفكيرها أو طريقة تفكيرها بشخص آخر فعلى المرأة السلام. وهٰذه واحدة من أكبر المشكلات التي تواجه المرأة العربية الحديثة فبالرغم من أن الإسلام قد حفظ لها حق الاستقلال في آرائها ضمن الفهم الصحيح للإسلام وبالرغم من أنه منع الرجال من حرمان المرأة من نعمة التفكير النافع المفيد إلا أن المرأة العربية لا تزال ترزح تحت (اللاعقل) في حياتها اليومية وإن استخدمته فإنها تستخدمه عقلاً بأنصاف أو أرباع الاستقلالية التي أرادها الإسلام بل وصل الحال عند البعض من النساء أن كبلت عقليتها أشد التكبيل واكتفت بغيرها يفكر لها ويحركها كيفما شاء وكأنها دمية (أراكوز) لا تتحرك من ذاتها دون محرك. إن مثل هٰذه العقلية النسائية التبعية يجب أن تعلن الحركة النسائية الجديدة حربها الضروس عليها للقضاء على تبعية التفكير النسائي لتظهر الاستقلالية التفكيرية المنظمة وفق معيار صحيح وضع لهٰذه الغاية.

والإسلام في كل اجراءاته النسائية يعتمد على تشكيل الشخصية والعقلية النسائية المستقلة والارتقاء بها عن التبعية فهو إن ملكها مالها وأعطاها مطلق الحرية، في التصرف فهو بذلك يعيد تركيب الذات النسائية إعادة جديدة معترفاً بقدرتها على إدارة شؤون المال والاقتصاد بدون وصاية من أحد واعترافاً واضحاً بأنها غير قاصرة، بل راشدة كل الرشد.

قال أرنست لوكوفيه «ليس من شيء يوضح الانحطاط المعنوي مثل الوصاية المالية» «كيف تعاقب الشريعة المبذر؟.. في منعه من حق التصرف بأمواله. كيف تقيد القاصر؟.. في منعه في حق التصرف بأمواله. كيف تتسلط على غير

الراشد؟ . . في منعه من حق التصرف بأمواله» . . فالحجر على الأموال إذاً هو موت معنوي ومدني لأن التصرف والاعطاء والمناصرة والعمل والحياة هي ابنة التملك» وبناء على ذلك فإن قضية المقام الاجتماعي مرتبطة ارتباطاً شديداً في مسألة المال وإن إطلاق يد الرجل في ثروة المرأة هو قضاء عليها أن تبقى قاصرة ابداً كما هو عامل على بقائه السيد المطلق على أفعالها وحتى على نفسها تقريباً[1].

(فالتاريخ الفرنسي وهي أم المدنية جعل القران الاشتراكي هو الزواج الأصلي ـ القران الاشتراكي ما كان يدمج أملاك الزوجين المشتركة ـ وبموجب هذا الزواج فليس للرجل أن يتولى كل أملاك الزوجين المشتركة فحسب، بل له حق الولاية على عقارات المرأة الخاصة، وأما الزوجة فليس لها حتى في أثناء غياب زوجها أن تبيع شيئاً من الأملاك المشتركة، بل ولا أن تتصرف في أملاكها الخاصة من غير رضاه وزيادة على ذلك فليس للزوجه أن تقبل هدية بغير إذنه في حين أن له الحق أن يهب ما يشاء من الرياش المشتركة في بيتهما معاً فضلاً عن أموالها المنقولة الخاصة[1].

(هذا ومن جملة ميزة الرجل بالتملك والتصرف في قانون فرنسا أن ديون الرجل وما قد يكون عليه من جزاء تكفلها أموال الزوجين المشتركة، وأما ديون المرأة فعليها وحدها إلا أن تكون بإذن الرجل ذلك أنه لا يجوز للمرأة الاتجار إلا بإذنه وإلا فكل عقودها تكون ملغاة، أما إذا أذن لها صار مسؤولاً عن أعمالها[2].

على أن الفرنسيين يذكرون بالخير الكلي (مدام شمل) التي ما انفكت نحو ربع قرن تجاهد في سبيل استقلال الزوجة بكسبها فصدر في ١٣ تموز ١٩١٧ قانون يمنح الزوجة التي تعمل عملاً منفرداً عن زوجها أن تتصرف بثمرة أتعابها وبما تقدمه منها[3].

---

(١) المرأة في الإسلام، محمد جميل بيهم ص ٧١.

(٢) نفس المصدر صفحة ٧٢.

(٣) نفس المصدر ص ٧٢.

أمام هذه التبعية التي تكاد أن تكون مطلقة في كل شيء لنرى كيف بنى الإسلام في المرأة الاستقلال الاقتصادي فالاستقلال الاقتصادي جزء لا يتجزأ من مقومات الحرية الإنسانية.

إن الإسلام أعطى المرأة استقلالاً اقتصادياً فريداً كاملاً فأجاز بيعها وشراءها وإجارتها وعقودها ووصيتها وهبتها وأعارتها وكسبها المالي والتصرف فيه[1] الخ. ومن هنا نرى مقدار اهتمام الإسلام باستقلالية المرأة وقدرتها على التعامل مع هذا الحق الممنوح، لقد منعت الزوجة شرعاً التصرف بأموال زوجها إلا بأذنه وهذا الأمر لا يعني أنها قاصرة ولا تستطيع التصرف بالمال ولكن ذلك لأنّه لا يجوز التصرف بمال الآخرين إلا بأذنه مهما كان هذا الآخرين حتى لو كان الزوج، إذ أنه بالمقابل فإنه لا يجوز لزوج أن يتصرف بمال زوجته إلا بإذنها.

ومثلما أن الاستعباد الاقتصادي نهى عنه الإسلام باعتبار أنه يعني التعامل مع المرأة وكأنها طفل قاصر، وهذا يتنافى كلياً مع الاستقلال الكامل.

وكذلك فإن المساومة على البنات لتزويجهن مثلاً دون اذنهن ما هو إلا الفتيل الذي يحرق المرأة حرقاً ويقضي على حريتها ويحكم عليها بالاستعباد الاجتماعي بزوج لا تحبه ولا تميل إليه أو على الأقل لم تختره بنفسها ولذلك فقد نهى الإسلام عن تزويج الفتاة رغماً عنها ودون إذنها ومن ذلك عن الخنساء بنت خذام: أن أباها زوّجها بدون إذنها وهي ثيّب فأتت رسول الله ﷺ، فرد نكاحها (رواه الجماعة إلا مسلماً) وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع به خسيسته فجعل الأمر إليها فقالت: «قد أجزت أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء».

---

(١) لمزيد من التفاصيل تراجع الكتب المختصة التي كتبت في هذه الموضوعات أو التي تحدثت عن حقوق المرأة في الإسلام.

وكـذلك منع الإسلام عضل المرأة وهو منع المرأة من الرجعة إلى زوجها إذا تراضيا بعد الطلاق الرجعي أو البائن بينونة صغرى وقد نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢٣٢].

روى الحسن أن معقل بن يسار زوّج اخته من رجل من المسلمين فكانت عنده ما كانت ثم طلّقها تطليقة ثم تركها ومضت العدة فكانت أحق بنفسها فخطبها مع الخطاب فرضيت أن ترجع إليه فخطبها إلى معقل فغضب معقل وقال: أكرمتك بها فطلقتها لا والله لا ترجع إليك قال الحسن: فعلم الله عز وجل حاجة الرجل إلى امرأته وحاجة المرأة إلى بعلها فنزلت الآية السابقة: ﴿وإذا طلقتم النساء...﴾ فسمعها معقل فقال: سمعاً لربي وطاعة ودعا زوجها وقال: أزوجك وأكرمك(١).

خلاصــة ما سبــق:

إن الإسلام عندما أراد الاستقلال لعقلية المرأة إنما أراد أن يبني من خلاله عقلية ناهضة تفرق بين الحق والباطل وتقاوم الباطل وتتفاعل مع الحق بمعايير ربانية جديدة أو بمعنى آخـر أراد الإسلام أن يرتقي بالمرأة نحو المرأة الحركية التي تتفاعل مع الواقع الجديد وتشارك في الحفاظ عليه وتساهم في المد الإسلامي نحو العالمية.

وإن تعاليم الإسلام النسائية تخدم هذا الهدف «تشكيل المرأة الحركية» الحركية في ذاتهـا، الحركية في أسرتها، الحركية في عملها، الحركية في مجتمعها، فإن كانت المـرأة كذلك حركية ايجابية فستشعر بقيمتها ومكانتها و إن لم تكن كذلك فحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) تحفة العروس ص ٧٧.

وكان من نتائج هذا التوجيه الجديد للمرأة المسلمة أو بتعبير آخر التوجيه الحركي الجديد بناء قدرات نسائية متميزة إذ أصبحت تمتاز المرأة المسلمة بـ:

- الشخصية المتميزة القوية.
- الجرأة والثقة بالنفس.
- التفكير العقلاني المنظم.
- الاعتماد على الذات.

وهي السمات أو المميزات التي لا بد من توافرها في أي شخصية حركية للوصول إلى المجتمع الإسلامي الآمن المنشود.

الفصل الرابع

العمـل الحركـي والمـرأة

الفصل الرابع

العمـل الحركـي والمـرأة

تكلمنـا فيما سبق عن أهمية التنظيم الحركي وأنه بمقدار قوة الحركة وذيوعها وعبقرية القيادة فيها وولاء وطاعة الجند «عناصر الحركة» وتفهمهم لدورهم الحضاري في التغيير وقناعاتهم لهذا التغيير يكون مقدار ذيوع الفكرة التي تبناها التنظيم وتأثيرها نحو التقدم الإصلاحي العام للمجتمع وتكلمنا كذلك عن عبقرية الإسلام الفذة في تشكيل العقلية النسوية الحركية ولكن ما هي آثار العمل التنظيمي الحركي على المرأة[1]؟.

إن للعمل النسائي الحركي فوائد جمة تجنيها المرأة المسلمة الحركية من جراء انخراطها في العمل الحركي داخل الحركة النسائية الإسلامية[2].

أولاً: إنـه يشعر المرأة بقيمتها في المجتمع وذلك من خلال اشتراكها في معالجة المشكـلات العـامـة التي تواجه المجتمع والتحديات الكبرى التي تقف في وجه الإسلام أنها تشعرها بقيمتها لأنها ستشارك جنباً إلى جنب في تحقيق الهدف الأكبر والغاية العظمىٰ للمسلم وهي تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى.

---

(١) قد تشترك المرأة والرجل في كثير من هذه الفوائد وقد تزيد عليه المرأة بنقاط وفوائد نتيجة طبيعة المرأة وتكوينها السيكلوجي.

(٢) قد تحقق المرأة بعض هذه الفوائد خارج التنظيم الحركي وقد نجد سمات المرأة الحركية في المرأة غير المنظمة إلا أن ذلك نادراً ومهما يكن فمن الصعب أن تتوافر في المرأة من خارج العمـل الحركي كل الفوائد التي تحققها المرأة من داخل العمل الحركي فالمرأة في داخل العمل الحركي تختلف في سلوكها العام عن المرأة خارجه وتختلف في تعاملها وفي طريقة تفكيرها.

ثانياً: إن المرأة لا تستطيع أن تحقق ثقافة إسلامية كافية ومختارة الاختيار الأمثل إلا من خلال الحركة وحتى لو حققت الثقافة المرجوة فإنها لا تستطيع توظيف الثقافة الجامدة فيها في العمل الإسلامي العام إلا من خلال تنظيم أو حركة يوجه ثقافتها توجيها صحيحاً ويوظف هذه الثقافة التوظيف الحركي المطلوب.

ثالثاً: إن العمل داخل جماعة يحرك النساء اللآتي تعودن الكسل والخمول والاعتماد على الآخرين في تحقيق الأهداف العامة فللحركة النسائية غايات عظمى لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الحركة الدائمة والعمل المتواصل والنشاط الذي لا ينقطع. وإذا كان كذلك فستجد الكسولة نفسها عضواً إن لم يكن مبتوراً من جسم الحركة فهي على الأقل عنصر لا يؤبه له ولا ينظر إليه حتى تتفاعل التفاعل المطلوب مع الحركة.

رابعاً: إبعاد شبح العفن الفكري نتيجة النوم الفكري بسبب التزوي بالأنامالية أو اللامبالاة الاجتماعية والسياسية والدينية فتوظيف الفكرة يبعد الصدأ عنها والذي تراكم نتيجة حبسها في قمقم دكتاتورية الفكر وعدم تطبيق الفكرة يساعد كذلك على تحويلها إلى فكرة جدلية فلسفية تشعر صاحبها بأنها فلسفة جدلية لا أكثر ولا أقل حتى لو كانت فكرة مثالية برأيه ورأي الآخرين.

خامساً: إن العمل الحركي يبعد المرأة عن الملل ـ خصوصاً غير المتزوجة ـ فتشغل نفسها بما هو نافع ومفيد، وهل هناك أنفع من المساهمة في تحقيق عالمية الدعوة الإسلامية وتطبيقها واقعاً ملموساً بدلاً من أن تبقى نظريات تزين الدساتير العربية وكذلك يبعدها عن مجالس اللهو والنميمة واللغو والغيبة والانشغال بالقيل والقال وهذه مشكلة تواجهها الكثيرات من نسائنا المسلمات.

سادساً: إن المرأة غالباً لا تذهب إلى المسجد لأداء الصلاة بل أنها لا تصلي عدة أيام من الشهر الأمر الذي يضعف البعد الروحي فيها وهو أمر لا بد من المحافظة عليه ولو إلى حد معين لأنه أساس الإخلاص في العمل والإخلاص هو أساس الفلاح

والنجاح في الدنيا والآخرة وفي داخل الجماعة النسائية المسلمة يعوض هذا الجانب من خلال اللقاءات المستمرة بين الأخوات المؤمنات اللواتي يحملن فكراً إسلامياً خالصاً صافياً فتقوى المرأة المسلمة بأختها المسلمة فترتفعان معاً في الصفاء الروحي.

سابعاً: والعمل داخل الجماعة النسائية يربي المرأة على حب العمل الجماعي المفيد ويجعل للمرأة دوراً بارزاً في انتاج ما تحتاج إليه بنفسها بدلاً من شرائه من الأسواق أو من ما ينتجه العدو فالأمة التي لا تأكل مما تزرع ولا تلبس مما تحيك هي أمة بطن الأرض أفضل لها من ظهرها وللمرأة دور بارز في تحقيق هذه الغاية ـ الاعتماد على الذات ـ فالعمل داخل الحركة يعلم المرأة الاعتماد على الذات في الكثير من شؤونها فهي التي تزرع وتخيط وتعمل داخل بيتها بدلاً من الخادمات المستوردات وبدلاً من الأمهات الصناعيات لأولادهن.

ثامناً: إن عملها داخل الحركة يبعدها عن الاهتمام بسفاسف الأمور أو الاهتمام بالحياة المكياجية وكأنها مهمتها في الحياة وأنها خلقت فقط للإغراء ولفت الانتباه والإعجاب من قبل الرجال إن الحركة النسائية الإسلامية توجهها التوجيه السليم نحو التفاعل الايجابي مع المجتمع لا التفاعل المكياجي وتربيتها تربية خاصة لأجل أن تكون قدوة حسنة لغيرها ليس من النساء فحسب، بل ومن الرجال أيضاً وتشير إليها النساء في سلوكها العام وتتطلع إلى التشبه بها والسير خلفها خطوة بخطوة.

تاسعاً: إن الحركة النسائية تشجع المرأة المسلمة على مقاومة العادات والتقاليد البالية التي تخالف أهداف الحركة وتدعوها إلى دفن تلك العادات الجاهلية وتدفعها إلى استبدالها بعادات وتقاليد وقيم جديدة توافق الشرع الإلهي الحكيم تساهم من خلاله في تحقيق المجتمع الإسلامي المنشود هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الحركة تظهر المرأة المسلمة كإمرأة إصلاحية لهذه القيم البالية لا أن تساهم في نشر شرورها، وكذلك فإنها تظهر التمايز الواضح بين المرأة المسلمة الاصلاحية

وبين المرأة غير المسلمة المكياجية الصناعية.

عاشــراً: إن المرأة عندما تدخل في إطار العمل الحركي النسائي الإسلامي فهي تتعرف على أخوات مؤمنات ربين تربية إسلامية مركزة وتتفاعل معهن ويوجهن إليها النصائح ويصبحن محط أسرارها وهي محط أسرارهن كذلك، بسبب الثقة الحاصلة بينهن نتيجة الروابط والعلاقات الإيمانية الجديدة التي ربطت بينهم فالتناصح بين الأخوات المنتميات إلى الحركة هي إحدى أسس بقاء الحركة قوية قادرة على الثبات والوقوف في وجه أعاصير المقاومة، وكذلك يساعدها على نقد الذات والإصلاح الداخلي.

حادي عشر: إن المرأة الحركية المسلمة بمقدار ما تتعلم وتتربىٰ على الحياء الدائم في الشارع والسوق والأماكن العامة تتعلم بالمقابل الجرأة اللازمة لمقاومة المنكر والظلم الواقع عليها، وعلى المجتمع أنىٰ كان مصدر هذا الظلم والمنكر ويمنحها البعد الحركي في العمل قدرة خاصة على تحمل الأذى والصعاب والمشاق لتحقيق الأهداف المرجوة.

ثاني عشر: إن العمل الحركي يعلم المرأة التنظيم في شؤون حياتها وبالمقابل يبعد عنها الفوضوية والعفوية في جميع شؤونها العامة والخاصة.

ثالث عشر: إن التنظيم الحركي يكشف إبداعات المرأة وقدراتها التفكيرية والعقلية واليدوية ويوجهها ويدعمها الدعم المطلوب بدلاً من أن تبقىٰ إبداعات بين الجدران الأربعة حبيسة الذات النسائية أو تستغل هذه القدرات والإبداعات بشكل لا يليق ويخرجها عن الذوق العام وجمعها إلى غيرها من الكفاءات لتشكل معاً قوة لتحقيق الغايات.

رابع عشر: إن العمل الحركي يصقل الشخصية الاستقلالية في المرأة ـ ضمن الاطار العام للإسلام ـ دون تدخل من أحد إلا على سبيل الرأي والمشورة.

«ومن هنا يجب العمل في جماعة لإزالة المنكر الأكبر وهو اقصاء الإسلام عن الحكم وتحكيم الشرائع الوضعية الوثنية، ويجب الأمر بالمعروف الأكبر وهو إعادة القرآن إلى منصة الحكم لأن كل فساد البشرية ينبع من هذه القضية الكبرىٰ»[1].

ومن خلال هذا العرض الموجز لفوائد العمل الحركي بالنسبة للمرأة نستطيع أن نخرج بأن العمل الحركي للمرأة ضرورة لا بد منها ضرورة بالنسبة لتحقيق الأهداف الإسلامية الأساسية، وضرورة لتحقيق أهداف تغييرية لشخصية المرأة، وضرورة لتحقيق الحضور النسوي على المستوى المجتمعي لتشارك في الإصلاح العام.

(١) صادق أمين الدعوة الإسلامية ص ٣٢.

الفصل الخامس

العمل الحركي والمجتمع

الفصل الخامس

العمل الحركي والمجتمع

عرضنا في صفحات سابقة أهمية العمل الحركي بالنسبة للمرأة وللفكرة والحفاظ عليها من أن تدرس وتضيع بين كتب المؤرخين وتصبح مادة تاريخية يتناولها أهل التاريخ بالقبول أو الرفض وفي الصفحات التالية سنتناول الفوائد التي تعود على المجتمع من جراء انخراط عدد من أبنائه في العمل الحركي الإسلامي وهي :

أولاً : يسرع في عملية التغيير:

وذلك نتيجة إشراك عدد كبير من أفراد المجتمع في عملية التغيير، وكذلك لأن ـ جيل التغيير ـ غالباً ما يكون من قادة الفكر في البلاد مما يعطي عملية التغيير بعداً فكرياً جماعياً وتعتمد الجماعة أو الحركة في تسريع عملية التغيير أو ابطائها على عدة أمور:

١ـ الخطة الصالحة القادرة على التغيير.

٢ـ طبيعة الواقع المراد تغييره بين قوة وضعف.

٣ـ قدرة القيادة على استيعاب التحديات وامتصاص الابتلاءات.

٤ـ قدرة الأفراد ـ ذكوراً وإناثاً ـ على الصبر وتحمل المشاق المرافقة لعملية التغيير.

٥ـ قدرة الحركة على استقطاب أكبر عدد ممكن من الناس وضمهم إلى صفوفها ـ سواء تم ضمهم إلى الحركة كأعضاء فيها أم بقوا خارج الخط كأنصار للحركة.

٦ـ قدرة الحركة على التعامل مع الواقع الجديد بوضع خطط وقائية للمشكلات التي قد تنشأ نتيجة تغيير الواقع السابق.

٧ـ قناعات الناس من خارج الحركة بأن الحركة قادرة على قيادة عملية التغيير وأنها

قادرة ـ بعد ذلك ـ على قيادة الواقع المغير الجديد قيادة حكيمة لأنه بمقدار شعورهم هذا يكـون تفـاعلهم مع الحركة وبمقدار قناعتهم في البديل وشعورهم بإخلاص العاملين يكون تعاملهم مع الواقع الجديد وتفاعلهم مع الحركة التجديدية التغييرية الإسلامية مما يؤدي إلى تسريع عملية التغيير وثانياً المحافظة على الواقع المغير إذ أن المهم ليس التغيير فحسب، بل الأهم من ذلك الحفاظ على الواقع المغير.

ثانياً: يشترك أكبر عدد ممكن في حركة التغيير:

فالحركة بحكم أنها تتكون من مجموعة كبيرة من الأعضاء والعضوات وبحكم أنهم جميعاً ـ بدرجات متفاوتة ـ شاركوا في عملية التغيير فيصبح شرف الثورة وانتصار الانقلاب ونتائج ذلك الايجابية موزعة على كافة الأفراد، أي موزعة على كافة أفراد الوطن الذين شاركوا في عملية الانقلاب الإسلامي ـ سواء الذين انضموا إلى الحركة كأفـراد أو قيادات أو الـذين ناصـروا وتعاطفوا مع الحركة وهم أبناء الشعب، وكل الشعب إلاّ حفنة بسيطة من الناس لا يأبه لهم ولا ينظر إليهم. فالذين ناصروا الحركة ولم يشاركوا في التغيير والذين تعاطفوا مع الحركة فإن لم يشاركوا مشاركة فاعلة في عملية التغيير إلا أنهم يشاركون في المحافظة على ثمرات التغيير والواقع الجديد ـ وهم النسبة الأكبر من أبناء الوطن ـ.

وهـذا بالتـالي يعـطي مؤشـراً على طبيعة المرحلة التالية، لأنتصار الانقلاب الإسلامي ومن هذه المؤشرات:

١ـ مشاركة كافة الأفراد ـ ذكوراً أو إناثاً ـ في المحافظة على الواقع الجديد ومكتسبات الثورة والانقلاب.

٢ـ يشعـر كل فرد من أفـراد المجتمـع أنه جزء من الانقلاب، وبالتالي فله شرف المشاركة مما ينمي فيه روح المصلحة العامة وينمي فيه روح العمل الجماعي.

٣ـ يمنع تسلط حفنة من الأصنام في حكم الشعب الذي جاهد جهاداً مريراً لأجل تغيير الواقع.

هذه مؤشرات ـ وغيرها ـ تبين بعض النتائج التي قد تحصل من تعامل وتفاعل أفراد المجتمع، مع الواقع الجديد نتيجة لاشتراك أكبر عدد منهم في عملية التغيير.

ثالثاً: يميز بين الصالح وغير الصالح من أبناء المجتمع الواحد:

ويظهر العمل الحركي الصالح من غير الصالح من ناحيتين:

الأولى: من ناحية الأفراد: إذ أن المحنة والتجربة والمواجهة هي التي تصنع الرجال. وهي التي تظهر العملاء، والمتخاذلين والمتآمرين على الإسلام، ودولة الإسلام وتظهر العاملين المخلصين للإسلام ودولته، وتظهر المنظّرين له دون عمل وجهاد لأجله وهذه الأصناف الثلاثة لا يخلو منها مجتمع حتى لو كان مجتمع دولة الرسول ﷺ. فبالاضافة إلى وجود الصحابة المخلصين العاملين للفكرة الإسلامية فقد وجد في الصف الإسلامي ـ في ذلك الوقت وكل وقت ـ مجموعة من المندسين الذين أظهروا الإيمان والإسلام وأبطنوا الكفر وعداوتهم للإسلام وهم الذين يسمون بالمنافقين وهم الذين يقولون ما لا يفعلون، والذين يسيرون مع محمد ﷺ في جيشه لزعزعة الصف من الداخل وكشفتهم التجربة وظهروا عند أول مواجهة فعند الصائغ يظهر الذهب من النحاس ويفرق بينه، وفي محك العمل الإسلامي الحركي يظهر المتآمر على الإسلام ويظهر المتعاطف مع الإسلام والإسلاميين، ويظهر مقابل ذلك العامل في صف الجماعة المجاهدة في سبيل الله، وإخراج أبناء الوطن من ظلمات جاهلية القرن العشرين إلى نور إسلامية القرن الحادي والعشرين إن شاء الله.

الثانية: من ناحية الأفكار: وتظهر الحركة غثائية الأفكار والمذاهب المنتشرة في المجتمع سواء عن طريق المحاضرات أو الوعظ والإرشاد أو عن طريق المشورات أو المقابلات الشخصية مع الناس فالحركة هي الأقدر على متابعة الأفكار وملاحقتها

وإجراء الدراسات والبحوث لإظهار غثها من سمينها وتوزين كافة الأفكار الإنسانية بميزان الإسلام والقبول بها أو رفضها بناء عليه وهذه مهمة قامت بها الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربها أتم قيام ونشرت البحوث والمنشورات لتوضح للناس طريق الحق من الباطل، ولا يتسع المكان هنا لضرب الأمثلة.

رابعاً: تميت أعداء التغيير في المجتمع:

أو على الأقل بطرحهم على فراش المرض، وقد يكون أعداء التغيير هم مجموعة من علية القوم ـ وهذا الأعم الأغلب ـ يقاومون التغيير ويعلنون الحرب على جيل التغيير الإسلامي. وقد تدفع مبالغ باهظة لتحقيق هذا الهدف ـ تدمير سيل المد الإسلامي ـ إذ أن علية القوم يرون في هذا المد إضراراً بمصالحهم ووقوفاً في وجه غطرستهم وظلمهم واستغلالهم للشعب الذي ينتمون إليه انتماء اسمياً لا انتماء حقيقياً فعلياً والفرد الذي يعمل لمفرده يجد صعوبة في مواجهة علية القوم وينتهون من تأثيره بيسر وسهولة.

وكذلك لو كان أعداء التغيير حركة ـ أو مجموعة حركات ـ لها قيادة ومخططات وأفراد كلهم يعملون لمقاومة التغيير الإسلامي واجهاض العمل الإسلامي... فكيف يصمد أمامها بعض من الدعاة كل يعمل بمفرده ولا ترابط بينهم ولا تنسيق فالحركة لا بد أن تواجهها حركة مثلها نداً بند ومخططاً بمخطط وأفراداً بأفراد ونشاطات بنشاطات وقيادة هنا تقاوم التغيير الإسلامي وقيادة هنا تدعو له وهو هدفها الأول الذي تسعى إلى تحقيقه.. ويبقى المنتصر في النهاية الأقدر على إقناع الشعوب بصحة فكرته وعمقها في الأمة وقدرة المجتمع على التمييز الصحيح بين الواقع المأفون وبين الكنز المدفون الذي استخرجه أصحابه بعد طول غياب، وسيكون النصر في النهاية للفكرة الأعمق وأصحاب الفهم الأشمل والتغيير الأمثل، ويموت أعداء التغيير الإسلامي أويطرحون على فراش المرض، وواقع الأمة اليوم كله يشير إلى ذلك ولسان حالها يقول: إنني مهما طال أمد المرض فإنني أمة لا تموت وإنما تمرض وتمرض فقط.

خامساً: تنمي في المجتمع روح الحركة والتجديد:

إن جميع البلدان المتطورة والمتأخرة ـ أحياناً ـ يوجد فيها جماعات وأحزاب أو حركات تساهم في تحريك المجتمع سياسياً أو اقتصادياً واجتماعياً وذلك من خلال تنافسها على الحكم أو جمعيات وجماعات تقدم أعمالاً خيرية وتحصر نشاطها في هذا الجانب وهناك أندية رياضية تخدم جانباً معيناً من جوانب الحركة الشاملة، وهو القطاع الرياضي وهناك جميعات نسائية أُنشئت أصلاً لأهداف خاصة، إن جميع هذه التجمعات وغيرها طبعاً تساهم في تحريك المجتمع وبث روح النشاط والحركة بين الناس إلا أن هذه الحركة غالباً ما تكون حركة عادية ونشاطات روتينية. ومساهماتها آنية لا تعمل على تغيير الواقع المعاش وهو الواقع المأسوي طبعاً، وكذلك فإن تغيير الرؤساء مثلاً لا يغير جوهرياً من واقع المجتمع بل يكمل سيرة وسياسة سابقة، وإن خالفها فهي مخالفة سطحية لا تصل إلى الجذور والأعماق، وبالتالي فهي تغيير رؤوس وأشخاص وتبديل آخرين مكانهم، وهذا ينطبق كذلك على أهداف الأندية الرياضية والجمعيات الخيرية وغيرها ـ إلا من رحم ربي ـ.

فالأحزاب والجمعيات ذات الصفة السابقة تساهم في تحريك المجتمع، ولكنها لا تساهم في تجديده. أما الحركة الإسلامية التغييرية فهي تساهم في التحريك وتساهم في التجديد بل هدفها هو التجديد وليس التحريك، وما العمل الحركي إلا لتجديد الواقع. فللحركة الإسلامية ـ أي حركة إسلامية ـ أهداف تريد تجديدها في المجتمع ومنها:

١ـ تصحيح العقيدة وتوضيحها في المجتمع من خلال إزالة الغشاوات التي سيطرت على فهم الناس للعقيدة الإسلامية السمحة.

٢ـ تعديل وتجديد طرائق التفكير عند كافة أفراد المجتمع بما يتناسب مع الفكرة الإسلامية.

٣ـ ايجاد روح الحركة للعمل العام والتفاعل بين الأفراد لتحقيق الأهداف.

٤ـ الوقوف في وجه الظلم والطغيان والدكتاتورية أياً كان مصدرها.

٥ـ كشف مخططات الأعداء والمتربصين بالأمة ومحاولة قطع الطريق عليهم.

٦ـ تجديد فهم المرأة لنفسها وفهمها لدورها في مجتمعها الصغير ـ الأسرة ـ ومجتمعها الكبير وكذلك مجتمعها الأكبر ـ الإنسانية ـ وأن تتفاعل المرأة مع الفهم الجديد لدورها في قلب الأوضاع القائمة.

٧ـ إعادة الخلافة الإسلامية من جديد.

ومن خلال ذلك نرى أن الحركة الإسلامية لا تريد تحريك المجتمع فقط ولو أرادت ذلك لاكتفت أن تشكل من نفسها حركة رياضية لتحريك المجتمع أو منتدى فكري يحرك الناحية الثقافية في المجتمع أو اكتفت أن تكون مجموعة من الجمعيات الخيرية التي تقدم يد العون والمساعدة للفقراء والمحتاجين.. وغيرها، ولكن الحركة الإسلامية حركة تجديدية فهي تريد ذلك كلّه بالإضافة إلى غيره من متطلبات الانقلاب والتغيير.

سادساً: فتح باب الاجتهاد:

أما من ناحية رفع الجمود عن فكر المجتمع وذلك من خلال المحافظة على باب الاجتهاد مفتوحاً وإفساح المجال لفقهاء الحركة للحكم على الأمور المستجدة في المجتمع بشكل عام، وواقع ومسيرة الحركة بشكل خاص التي تحتاج إلى أحكام شرعية من التحليل والتحريم وغيرها وهو الباب الذي أغلق، فظهر الإسلام بشكل غير مباشر ـ بنظر الكثيرين ـ إنه جامد لا يصلح لكل زمان ومكان. ففي غياب الحكومة الإسلامية يصبح رفع الجمود عن فكر الأمة واحدة من أهم مهمات الحركة الإسلامية وإظهار الإسلام على حقيقته حتى في غياب تطبيقه كدين شمولي وعالمي وصالح لكل زمان ومكان.

سابعاً: تشكّل الحركة مصدر ازعاج للدكتاتورية والإلحاد:

فالحركة تنشط في مجال الآثار السلبية للحكم الدكتاتوري وتوضح للناس

مظالم الزعيم الدكتاتوري وهذا دور قامت به الكثير من الحركات الإسلامية واستطاعت بعد تخطيط وتكتيك إن تحقق أهدافها ومنها من لم يحقق أهدافه من هذه الناحية والطريقة المثلى لتغيير الزعامات الدكتاتورية هي تشكيل رأي عام مضاد للدكتاتورية وأصنامها وقوي جارف يجرف كل القوى التي تساند الدكتاتور وأصنامه وإذا استطاعت الحركة تشكيل مثل هذا الرأي العام الفاعل فتكون قد حققت أو قطعت نصف الطريق نحو القضاء على دكتاتورية الفرد وذلك لأن تشكيل الرأي العام يعمل على :

١ـ إن التغيير عن طريق الرأي العام ـ الذي تشكله الحركة ـ يعني عدم القبول بفكر الزعيم الدكتاتور وعدم الرضا بحكمه كذلك وبالتالي فإن التغيير يصبح مطلباً شعبياً، وإن المجموعة الهائلة من الناس التي طالبت بالتغيير هي نفسها التي تحدد لون الحكم الجديد المطلوب.

٢ـ إن الحاكم الجديد يحسب حساب الشعب الذي قضى على سابقه فيحكم بالعدل وكما يريد الشعب لا كما يريد هو فقط.

٣ـ إن قدرة الحركة في التأثير على الرأي العام الفاعل يعني قدرتها على توجيه الأشخاص الذين في سدة الحكم نحو الحكم الإسلامي الصالح.

٤ـ إن توجيه الرأي العام الفاعل الوجهة الإسلامية يعني مقاومة الإلحاد شعبياً ومن ثم حكومياً.

٥ـ إن الحاكم يشعر بالمراقبة من قبل الحركة عليه فيخاف ازعاجها له فيحذرها ويتجنب ما يغضبها وما يتناقض مع أفكارها.

٦ـ وإنه بمقدار قوة الرأي العام تكون فاعليته، وبمقدار قوة الحركة تكون سيطرتها على الرأي الفاعل وبالتالي فإن من مهمات الحركة الإسلامية تفعيل دور الرأي العام للتأثير على السلطات أو الحكومة أو السلطة التنفيذية فبمقدار سيطرة الحركة على الرأي العامل الفاعل يكون توجيهها للنظام الحاكم.

ثامناً: تنمي روح الوعي العام:

وتبث الحركة الإسلامية الوعي العام من خلال طريقتين:

الأولى: من خلال تثقيف المجتمع وتعليمه وتقوية وازعه الديني، فالحركة تعقد الدورات العامة الثقافية لتثقيف المجتمع بالثقافة الإسلامية، وتعقد دروس الوعظ والمهرجانات والمحاضرات والندوات وإصدار المنشورات والمقالات العامة وتصدر الجرائد والمجلات لتوعية الشعب وتعليمه وتثقيفه، بالإضافة إلى وضع منهاج واضح لتعليم وتثقيف أبناء الحركة نفسها حتى يصبحوا أكثر عطاء وأكثر وعياً.

الثانية: إن الحركات بشكل عام تطلع على أمور قد لا يطلع عليها الآخرون من أبناء الشعب ويعرفون من أسرار الدولة أكثر من غيرهم بحكم مشاركتهم في النشاط العام ومتابعتهم للأحداث الجارية خصوصاً لما يحدث من وراء الكواليس.

تاسعاً: يساعد على وضع خطط ناجحة لعلاج أمراض المجتمع:

إن أي حركة لا يهمها تغير الواقع ومعالجة أمراض المجتمع الآنية والمزمنة هي حركة مصلحية تريد أن تحقق أهدافاً شخصية أو أهدافاً خاصة بها كحركة ومن هنا يقاس دور الحركة في التفاعل في ا لمجتمع أو عدم التفاعل معه، فالتفاعل مع المجتمع لا يعني قبول الواقع السيء للمجتمع، والتعامل معه بناء عليه وتفاعل الحركة مع المجتمع يجب أن يكون للمعالجة لا للقبول بالأمر الواقع، ونرى أن بعض الأحزاب والحركات سعى للاستفادة الشخصية أو الحركية ـ أحياناً ـ من معطيات الواقع الفاسد، وبالتالي الحفاظ على الواقع ـ بل زيادة الهبوط بالواقع نحو الأسفل باعتبار أنه كلما ساءت حالة المجتمع كلما أخذت الحركة مكانتها الأعلى في المجتمع أي أن مثل هذه الحركات كالذباب والحشرات لا تعيش إلا على الوساخة والقذارة وأكوام القمامة والنظافة عدوها الأول وهذه الحركات تعيش على رذيلة المجتمع وفحشه وطلاق أخلاقه، وعودة الفضيلة عدوها الأول، وقد تموت الحركة

كلّما زادت العلاقات وداً بين الفضيلة وبين المجتمع وبين المرأة وبين المجتمع، فطلاق الأخلاق غذاؤها وعنصرها المحرك ووجود الأخلاق موتها وفناؤها.

هذه الحركات وهي كثيرة إحدى التحديات التي تواجه الحركة الإسلامية والتي يطلب منها أن تعالج واقعها التعس فأساس الأمراض الاجتماعية التي تواجه المجتمع هذه الحركات أو التجمعات البغائية.

فالحركة هي التي تكشف الأمراض أولاً ثم تدرس دراسة لأولويات العلاج ثم وصف العلاج المناسب لكل مرض مهما كان هذا المرض صغيراً أو مزمناً ووضع الخـطط اللازمة لتحديد زمن التنفيذ وقطف النتائج وإعطاء البدائل في حالة فشل العلاج ومتابعة المرض حتى القضاء عليه وتجنيد أكبر عدد من الأفراد - ذكوراً وإناثاً - للاشتراك في النهي عن المنكر على اختلاف أساليبه ووسائله وصوره وأشكاله.

عاشراً: إنشاء الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم:

وهو واحد من أهم الأهداف التي تريد أن تصل إليه الحركة الإسلامية وهو الثمرة ا لتي لا بد منها لكل نشاطات الحركة وأعمالها وتحركاتها وهي النتيجة التي لا بد منها للوصول إلى الهدف الأول والأساسي للحركة وهو إقامة حكم الله في الأرض وإنشاء الحكومة الإسلامية.

فالـوصـول إلى الفـرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم هو الطريق للوصول إلى تحقيق الأهداف وإلا فإن تحقيق الأهداف والوصول إلى الغاية الكبرى يصبح أمراً بالغ الصعوبة وإن قام فهو معرض للإنهيار بسبب ضعف الأساس والأرضية التي قام عليها البناء واعتمدت عليه الحكومة الإسلامية، فعندما يتحقق الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم تكون قد تحققت الحكومة الإسلامية بعد ذلك مباشرة كنتيجة حتمية لا بد منها ولا مناص عنها وتصبح مطلباً شعبياً عاماً لا ينفك عنه واحداً من أفراد المجتمع، وتتحول بالتالي قضية إقامة الحكم الإسلامي من قضية

حركية تهتم بها مجموعة من الحركات الإسلامية إلى قضية شعبية عامة يتحرك لها كافة أفراد الشعب بلا استثناء.

وتكـوين الفرد المسلم لا يعني دخول أفراد جدد إلى الإسلام وكذلك لا يعني جعل الأفراد الذين لا يصلون يصلون فحسب بل هي تشكيل عقلية الفرد المسلم تشكيلة قرآنية فلا يتحرك الفرد إلا بالقرآن فيعيش للقرآن ويعيش مع القرآن.

إن تشكيل شخصية الفرد المسلم بهذه الصورة مهمة كبرى على عاتق الحركة الإسلامية العامة بشقيها النسائي والرجالي، والتخلص من داء الغثائية التي وصف بها رسول الله ﷺ جيلنا المنكود، فتشكيل الفرد المسلم يؤدي إلى تشكيل البيت المسلم، وتشكيل البيت المسلم يؤدي إلى تشكيل المجتمع المسلم، لأنه يتكون من مجموعة من الأسر المسلمة، وبعد ذلك تأتي النتيجة الحتمية وهي إقامة الحكم الإسلامي.

الفصل السادس

أركان الحركة الناجحة وأهدافها

الفصل السادس

أركان الحركة الناجحة و أهدافها(*)

لأي حركـة تغييرية أركان أساسية مهما كانت هذه الحركة ومهما كان توجهها وكغيرها من الحركات التحررية فإن للحركة الإسلامية (النسائية) مجموعة من الأركان والأهداف التي لا بد من توافرها لأي تنظيم حركي بشكل عام وتنظيم حركي نسائي إسلامي بشكل خاص فهي أركان وأهداف التنظيم الناجح القادر على قلب الواقع المعاش إلى واقع إسلامي فينعم فيه الفرد والأسرة والمجتمع بالحياة الهانئة السعيدة الحرة الكريمة، وأهم هذه الأركان هي:

أولاً: القيادة الناجحة[1]:

إن القيادة في التنـظيم الحركي تقوم بإدارة الجماعة ورعاية مصالحها ووضع الخـطط المرحلية والنهائية لها كما تحدد الأهداف لكل مرحلة تمر بها أو تنتظرها وتحدد الوسائل المتنوعة التي تسير عليها لتحقيق هذه الأهداف ويجب أن تعمل على تنفيذ الخطة وأن تنشىء الأجهزة التي تشرف على متابعة ما نفذ منها وما بقي منها وكيف يمكن أن ينفذ والقيادة في هذا كلّه تنفذ ما يخصها وتتابع أعمال غيرها.

أهميـة القيـادة:

القيادة ركن من أركان التنظيم الحركي والركن ما يقوم به الشيء وهو داخل في ماهيته فإذا انهدم هذا الركن من التنظيم انهدم التنظيم وتلاشى والقيادة للتنظيم مقامها مقام الرأس للبدن فالرأس هو المدبر للأطراف والأعضاء والأجهزة وكذلك القيادة،

(*) يشترك في هذه الأركان الحركات النسائية الإسلامية وغيرها من الحركات الإسلامية.

(١) التنظيم الحركي في الإسلام/ أحمد عبد المنعم البدري.

وقد توجد المجموعة الكبيرة من الناس، ولكن هذه المجموعة مهما بلغت في تعدادها ومهما حصل أفرادها من فطنة وذكاء وقدرة لا أثر لها إن لم يكن لها قيادة واعية ومدبرة تنظمها وترسم لها أهدافها والوسائل التي تحقق هذه الأهداف.

والمسلمون اليوم فيهم خير كثير إلا أنه ينقصهم الالتزام بالقيادة الواعية الحكيمة التي تنظمهم فتقوم بحشد طاقاتهم وتوجيهها نحو أهداف مرسومة، ولا نبالغ إذا قلنا أن نجاح القيادة وفشل القيادة هو فشل الجماعة وقوة القيادة، كما هو معلوم تؤدي إلى قوة الجماعة ويجعلها تقترب من أهدافها وضعفها يؤدي إلى ضعف الجماعة وتصبح المسافة بينها وبين أهدافها بعيدة يصعب عليها الوصول إليها.

مواصفات القيادة الناجحة:

وحتى تكون القيادة في التنظيم الحركي قادرة على ضبط حركاته وتقدير خطاه وتوجيه سيرة لا بد أن تتوافر فيها الشروط التالية:

١ـ أن يكون القائد من أهل التكليف أي أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً راشداً متصفاً بالذكورية ـ بالنسبة للحركات الإسلامية العامة، أما الحركات النسائية الإسلامية فهي ذات قيادة نسائية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالقيادة العامة للحركة الإسلامية العالمية لا سيما في المراكز القيادية الحساسة كأعضاء القيادة العليا في أي تنظيم حركي أو أعضاء مجلس الشورى ـ.

٢ـ المؤهل المسلكي: ينبغي على القائد أن يلتزم بأحكام الإسلام وآدابه في علاقته مع أهله وجيرانه وإخوانه والناس أجمعين وتتجسد فيه المعاني الإسلامية بحق كالصدق والشجاعة والصبر والثبات والتواضع والكرم وانكسار الذات.

٣ـ المؤهل العلمي: ولا بد للقائد ـ القائدة ـ أن يكون متمتعاً بثقافة واسعة في علوم كثيرة دينية ودنيوية وفي مقدمة هذه العلوم العلم بالشريعة الإسلامية، لأنه يحكم بها ويحتكم إليها وينبغي أن يهتم القائد بدراسة الحركات الإسلامية والحركات

الإصلاحية الإسلامية المعاصرة، وينبغي أن تكون للداعية ثقافة واطلاع على الحركات الهدامة في القديم والحديث.

٤ـ أن يكون القائد ـ القائدة ـ وثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى وبكتابه الكريم تلاوة وفهماً وتفاعلاً، وأن يكثر من الصلاة والصيام والقيام ولا يغفل لحظة واحدة عن إعداد نفسه وتربيتها.

٥ـ أن يكون ذا رأي سديد وسبيل ذلك البحث والنظر في تدابير السلف والقادة الأكفاء وأخبارهم وتجاربهم ومظان ذلك الكتب العلمية.

٦ـ المصابرة على الشدائد وكتمان أخباره عن عدوه بكل وسيلة.

٧ـ أن يستشعر خطورة المسؤولية التي أنيطت به.

٨ـ أن تكون لديه القدرة على قيادة الجماهير وتنظيمها وذلك بما لديه من رصيد ضخم من التجارب في هذا المجال.

٩ـ أن تكون لدى القائد ـ القائدة ـ الدراية بأساليب الادارة النظرية والقدرة على تطبيقها.

١٠ـ على القائد أن يعتني بصحته البدنية وقوته الجسدية بحيث يكون قوي الجسم سليماً معافى.

١١ـ الاستعداد الابداعي أي أن يكون لديه القدرة على العطاء والانتاج وهذا الاستعداد هو الذي يجعله في المقدمة ليس ذيليّا بل يكون نشيطاً متفاعلاً ولا بد أن يكون تحركه ذاتياً يفكر ويتحرك ويبدع في حركته لا أن ينتظر من يحركه، إن هذا الصنف من الناس الذي ينتظر من يحركه لا يصلح للقيادة مهما حفظ من كتب ومهما طالع من صحف لأن قدرته على الابداع ضعيفة.

١٢ـ الاستعداد الجهادي: لا بد أن يكون لدى القائد رغبة أكيدة واستعداداً قوياً وعزيمة

فولاذية ونية خالصة للجهاد في سبيل الله مستعداً في كل لحظة أن يجاهد بنفسه وماله وكل ما يملك من أجل دعوته ونصرتها وتحقيق أهدافها ولا يتوانى لحظة واحدة في سبيل ذلك.

ثانياً: خطة ناجحة لتغيير الواقع:

وللخـطة دور بارز في تغيير الواقع وبمقدار فاعلية الخطة تكون النتائج وهي المعيار الذي تسير عليه القيادة ويسير عليه الأفراد وبها يقاس مدى تحقيق الأهداف فلا بد إذن من توافر خطة مرسومة يسير عليها التنظيم لتحقيق الأهداف، فأي عمل لا تتوافر فيه خطة فهو عمل ناقص، بل هو هدم لا بناء فالتخطيط أساس كل عمل ناجح وعكسه عكسه.

وبمقدار براعة الخطة وعبقرية وضعها وصلاحيتها وإمكانية تطبيقها تكون النتائج المحتملة للعمل والثمرات المنتظرة إذا وجدت أدوات تنفيذ بنفس الكفاءة والقدرة، وما أجمل أن تجتمع الخطة الصالحة والتنفيذ الجيد والتفاعل المطلوب عندها سنرى النتائج ولو جزئياً على أرض الواقع.

إلا أن هناك عدة شروط لا بد من توافرها في الخطة الناجحة:

١ـ الواقعية: ونعني بها أن تكون الخطة تعالج الواقع علاجاً واقعياً فهي تتعامل مع الواقع لا أن تضع علاجات مثالية مفرطة في المثالية وتعتقد أنها تتعامل مع جيل قرآني قائم وأن تأخـذ بعين الاعتبار واقع وطبيعة القيادات المتصارعة في المجتمع ومن الواقعية أن تمتاز الخطة بالمرونة والعقلانية لا بالجمود والعاطفية.

٢ـ تراعي حدود الاستعداد والامكانيات البشرية: فلا تكلف الأفراد أكثر من طاقاتهم ولا تطلب من المجتمع أكثر من طاقاته ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ وأن تراعي الفـروق الفردية، بين الأفراد وأن تراعي استعدادات كل منهم وغيرته على العمل وإمكانات الحركية وميوله وتوزيع الواجبات تبعاً لذلك، وعدم إهمال بعض العناصر

اهمالاً كاملاً مما يشعرها بالعزلة الحركية التي قد تؤدي إلى سقوطه أو سقوطها من الصف الحركي.

٣- التدرج في التنفيذ: يكون على المستوى التربوي والمنهجي للأعضاء أو للعضوات بإعطائهم العلم والعمل معاً وفق منهاج تدريجي يراعي فيه الفروق الفردية والتدرج كذلك على مستوى المجتمع فلا يعقل من الخطة أن تخطط لتغيير المجتمع تغييراً مباشراً في بحر أيام أو أشهر معدودة، ولكن التغيير والانقلاب يحتاج إلى عدة سنوات أو حتى إلى عدة عقود من السنين وعلى الخطة أن تراعي هذه النقطة وتعتمد التدرج في التنفيذ.

٤- أن تراعي التوازن بين حاجات المجتمع المادية والروحية وحاجات المجتمع وحاجات الأفراد وحاجات الرجل وحاجات المرأة وحاجات الأسرة فعلى الخطة أن لا تركز على جانب دون آخر إذ أن اهمال أي من الجانبين يعني النظر بعين واحدة وبالتالي فالخطة ستكون عرجاء و شوهاء، وهذا سيؤدي إلى فشلها في تغير الواقع القائم، بل إنها على العكس من ذلك فقد تساهم في الحفاظ على الواقع القائم من خلال فشلها في التغيير بسبب خوف الأفراد من خوض التجربة مرة أخرى، وهذا بسبب الشعور بأن الواقع أقوى من حركات التغيير فيتقاعس الحركيون ويصيبهم شيء من القنوط واليأس من عملية التغيير وهذا مكمن الخطر.

٥- النظرة المستقبلية: إن استيعاب الواقع المعاش ومعرفة احتياجاته الاصلاحية ووضع الخطط العلاجية لا بد أن تظهر نظرة مستقبلية للواقع المعاش إذا ما بقي على حاله، وإذا ما تم تغييره وما هي نتائج التغيير الايجابية المتوقعة ونتائجه السلبية، وبالتالي ما هو مستقبل المرأة في السنوات القادمة من جراء التغيير وما هو مستقبل المجتمع الجديد. ما هو دور المرأة في المحافظة على التغيير بعد نجاحه.

هذه تساؤلات مستقبلية - وغيرها من التساؤلات - توجب على الحركة أن يكون لديها نظرة مستقبلية للواقع الجديد المتوقع الذي يمكن أن تعيش فيه وبالتالي وضع

العلاجات أو الوقوف عن المتابعات أو المتابعة والمواصلة أو التريث أو العمل على تجنب سلبيات النتائج المستقبلية من الآن. . وهكذا.

وكل ذلك تعطيه أبعاد النظرة المستقبلية للخطط الموضوعة ومدى تأثيرها المتوقع على حياة المجتمع والمرأة.

والخطة ذات النظرة المستقبلية المدروسة بدقة تساعد على تجنب سلبيات المستقبل قبل وقوعها أو تحضير العلاجات مسبقاً قبل استفحال الداء وانتشاره، فهي ـ النظرة المستقبلية ـ تكون خطة وقائية لسلبيات النتائج المتوقعة لأهداف ووسائل الحركة.

ثالثاً: طاعة الأفراد:

إن طاعة الأفراد للقيادة لازمة ولا بد منها، إذ أنه لا إمارة بلا طاعة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة» إلا أنه حتى تتحقق طاعة الأفراد لا بد من توافر شروط ومنها:

١ـ أن يكون الأمر الموجه يمكن تحقيقه وتنفيذه وكما قيل إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

٢ـ أن يربي الأفراد التربية اللازمة التي تهيؤهم لقبول الأمر من القيادة وعدم التقاعس عن تنفيذه والطاعة التامة له.

٣ـ جدية القيادة في توجيه الأمر وعدم الميوعة أو التساهل فيه.

٤ـ وضوح الأمر وإبعاد الألفاظ التي تؤدي إلى لبس وأن يفهم الأمر بمعنى واحد حتى لا ينفذ بشكل يختلف عما تريده القيادة.

٥ـ أن لا يكون الأمر فيه معصية لله أو الرسول ﷺ من قريب أو بعيد.

٦ـ محاولة إشراك الأفراد أو القاعدة ـ قدر الإمكان ـ في صنع بعض القرارت ووضع الخطط حتى يشعر الفرد بمكانته واهتمام القيادة في تنمية الحس القيادي فيه وهذا يؤدي إلى الثقة بالقيادة وبالتالي إلى طاعتها وكذلك فإن الفرد الذي يخطط سيكون أول من ينفذ.

٧ـ فتح الأبواب بين القيادة والأفراد أو تقليل الفجوة بين القيادة والقاعدة لا أن يكون الأفراد في واد والقيادة في واد آخر.

٨ـ إشعار الأفراد بثقة القيادة بهم وبناء جسور الثقة بين القيادة والأفراد بشتى الوسائل والطرق الشرعية.

٩ـ عدم تعويد الأفراد على الطاعة العمياء لأن الطاعة العمياء لا تجوز حتى للرسول ﷺ فإن وجد مثلاً حديثاً يخالف آية وينافها فيجب البحث عن السبب فإن وجد فبها ونعمت، وإلا يجب أن يراجع الحديث لأنه إما أن يكون ضعيفاً أو موضوعاً. . فإذا كانت الطاعة العمياء لا تجوز حتى لرسول الله ﷺ فكيف بغيره من البشر وعدم القبول بالطاعة العمياء لا تعني عدم الثقة بالقيادة، بل على العكس فمن أجل بناء جسور الثقة بالقيادة لا بد من الطاعة المستنيرة الطاعة المعقلنة المقبولة عرفاً وشرعاً، فالطاعة العمياء تميت الابداع وتقتل القدرات وتذيب الشخصية وتعود الفرد أن لا يقول «لا» حتى لو تعرض لظلم داخل الجماعة ومن خارجها لأنه تعود على الطاعة العمياء، وقد تصبح عامل هدم في الحركة لا عامل بناء.

١٠ أن تحاول القيادة بحث مشكلات الأفراد العائلية والشخصية والحركية والايمانية للتآلف والتقارب بين الطرفين.

١١ـ عدم التمييز بين الأفراد والقيادة وكأن الأفراد شيء والقيادة شيء آخر وإشعار الأفراد أن جميع أعضاء الحركة ـ أفراداً ووقيادة ـ سواسية.

١٢ـ الاستماع إلى شكاوي الأفراد وعدم اهمالها وكأنها شيء لم يكن والاستماع

واستيعاب نقد الذات التي قد يلاحظها الأفراد.

١٣ـ فتح الحوار والنقاش بعد كل نشاط للاستفادة من سلبياته وتجنبها وإيجابياته والمحافظة عليها.

١٤ـ عدم إشعار الأفراد أنهم مجبرون على كافة الأعمال في الحركة والتوضيح للأفراد بين الأوامر الاجبارية والاختيارية والتفريق بينهما، ومن ذلك استخدام أسلوب الايماء والايحاء بدلاً من الأسلوب المباشر.

١٥ـ وضع العناصر المناسبة في المكان المناسب حتى يثق الأفراد بقدرة القيادة على الاختيار الواعي للعناصر القيادية وبالتالي يساعد الأفراد على طاعة الأوامر لثقتهم بالعناصر القيادية الجديدة التي عرفوها وألفوها عندما كانت أفراد مثلهم.

١٦ـ الوقوف إلى جانب الأفراد إذا ما تعرض أحد منهم للسجن أو التعذيب التعسفي أو مساعدة أهله في حالة غيابه في مثل هذه الحالة.

١٧ـ أن تكون العناصر القيادية قدوة للأفراد في كافة سلوكياتهم والأصل في ذلك أن يسبق القياديون الأفراد إلى صلاة الفجر في المسجد وإلى حضور الحلقات الوعظية وقراءة القرآن والصيام والقيام وغيره، وبالاضافة إلى غيره كالتعامل مع الآخرين، أما أن تطالب القيادة الأفراد بسلوكيات هي نفسها لا تقوم بها فهنا تكمن المشكلة وتظهر بوادر الانشقاق لعدم الثقة الناتجة عن التقاعس السلوكي لدى القيادة.

١٨ـ اشتراك القيادة في النشاطات العامة وعدم التخطيط لها فقط وتركها بيد الأفراد ينفذونها كيف شاؤوا دون مشاركة أو على الأقل مراقبة من قبل القيادة.

١٩ـ مكافحة الاشاعة داخل الصف بالطرق العلمية الصحيحة.

٢٠ـ معالجة كافة الأسباب التي تؤدي إلى الكبت عند أحد الأفراد لأن الكبت يؤدي إلى الملل والملل يؤدي إلى الفتور والفتور يؤدي إلى السقوط من الصف الحركي.

٢١ـ التأكيد الدائم للأفراد، إن هذا العمل لله أولاً وأخيراً وإنه بالتالي مهما كانت هنـاك أخطاء فإن نقد الذات أمر وارد في الجماعة، فالحركة تؤدي إلى الاحتكاك والاحتكاك قد يثير مشكلات وتقع القيادة والأفراد في أخطاء وإشكالات. ولكن هذه طبيعـة العمـل الحـركي وأي عمـل لا بد أن يكون له سلبيات وايجابيات فلنأخذ الايجـابيات وتنميهـا ولنتعـامل مع السلبيات ـ إن وجدت ـ بروح النقد الموضوعية ونخرجها من الصف.

رابعاً: الركن المالي:

وهـو عصب الحركة وتهمل الكثير من النشاطات الهامة ذات التأثير الايجابي الملموس بسبب فقدانه بل قد ينهار التنظيم أصلاً من قاعدته إلى قيادته بسبب غياب الدعم المالي الكافي للنشاطات، وهذا يؤدي إلى:

١ـ نقص النشاطات عن المطلوب وعدم تغطية الحاجة.
٢ـ عدم فاعلية النشاطات القائمة.
٣ـ ملل الأفراد بسبب عدم منحهم حوافز مادية كالهدايا مثلاً بسبب نضوب الدعم المادي.

فعلى الحركة أن لا تعتمد على اشتراكات الأفراد فقط كمصادر للدخـل، ولكن عليهـا أن تنشىء المشـاريع الاستثمارية التي تتمكن من خلالها من الانفاق على خططها التغييرية.

خامساً: المرجعية القرآنية:

ومـا قامت الحـركـة أصـلاً إلا لجعله حاكمـاً في شؤون البـلاد والعباد فإذا كان ذلك كذلـك، فالأولى باتباع الحركة جعله مرجعهم أولاً وإليه يحتكم جميع أفراده وبه ـ وبالسنة النبوية ـ تقاس أعمالهم ويقبل هذا العمل ويرفض فالقرآن الكريم يجب أن يكون المرجع الأول في كل صغيرة وكبيرة من أمر الجماعة وإلا فكيف تطالب بتطبيقه على مستوى الدولة كمرجع للحكم والتشريع وهي لا تطبقه حتى على مستوى الحركة

والقيادة والأفـراد، وإلا فكيف تطلب الحـركـة ـ أي حركة إسلامية ـ تطبيق القرآن الكـريم في الحياة العامة وهي تهمله داخل الحركة، فالأصل إذاً أن يطبق القرآن جملة وتفصيلا داخـل الحـركـة ثم تطالب غيرهـا بتطبيقه باعتبار أنها هي الداعية لتحكيمـه في حياة النّاس، فالمرجعية القرآنية هو أن يكون القرآن مصدر التشريع داخل الحركة أولاً ثم يكون تحكيمه في الحياة العامة كمصدر للتشريع.

ثانياً: المـرجعية القرآنية هي التي تصف هذه الحركة بأنها إسلامية وأن تلك الحـركـة غير إسـلامية، ولا يتصف الحزب أو الحركة بأنها إسلامية لأن عدد من أعضائها أو حتى جميع أعضائها يصلُون فهناك الكثير من الأحزاب والحركات غير الإسـلامية بعض أعضـائهـا يصلون ويصـومون ومع ذلك فليس إسلامياً، فأسلمة الحزب أو الحركة ترتبط بمنهاج الحركة وأهدافها وغاياتها أولاً قبل ارتباطها بأعضائها وتصرفاتهم الشخصية أحياناً.

سادساً: الركن الروحـي:

وهـو عمـاد العمل وطريق الاخلاص وهو زاد المسلم والمسلمة على عقبات الطريق المليء بالأشواك وبدونه فالحركة في خطر وأفرادها في تهاو وقادتها في جفاف والكل في تساقط على طريق الدعوة حتى يدركوا أنفسهم ويزكوها بالذكر الدائم لله والصيام والقيام ـ النافلة ـ وصلاة الضحى وقراءة القرآن وزيارة القبور ويكون ذلك إما على شكل أفراد أو أعمال جماعية تقوم بها الحركة مع أفرادها.

ومهمـة قيادة الحـركـة أن تنمي في أفرادها ـ ذكوراً وإناثاً ـ الجوانب الروحية بمتابعتهم روحياً والسؤال الدائم عن مدى التطبيق للنوافل وصلاة الجماعة في حياتهم اليومية، أن من مقاييس نجاح الداعية إلى الله هذا الركن فهو عماد الصبر وزاده على طريق الـدعـوة وبدونه فصبر المسلم والمسلمة الداعية وجهادهما في خطر وتنمية الجوانب الروحية هي إحدى أهم مقومات الصبر.

وبه يكون الاطمئنان في نفس الداعية ويرتفع بروحه إلى السموات العلى لقوله

تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد ٢٨]، وبه تزرع الثقة بنصر الله ويشعر الداعية أن نصر الله - آتٍ لا محالة إن شاء الله، وبه يكتمل بناء الشخصية الإسلامية بشقيها المادي والروحي وبدونه فالشخصية الإسلامية مهددة بالسقوط في مهاوي الرذيلة ومستنقع الفاحشة والفوضى في أغوار الحياة المادية الآسنة وقد يصل الأمر إلى أبعد من ذلك.

هذا بالاضافة إلى أن الإخلاص في العمل يرتبط بدرجة تمركز النواحي الروحية في نفس المسلم والمسلمة وبمقدار حصته الروحية يكون مقدار الإخلاص والتوجيه والتوكل على الله وأي عمل بلا إخلاص فهو خداج ناقص لا ينظر إليه ولتحقيق الإخلاص لا بد من تحقيق المتطلب السابق له وهو التوجيه الروحي للمسلم والمسلمة العاملين في طريق الدعوة، وعلى ذلك فالثبات والتجرد والإخلاص والصبر والثقة والجهاد بل والعمل الحركي برمته يعتمد أساساً على مقدار قوة الناحية الروحية في النفس.

سابعاً: الركن العملي والقدوة الحسنة:

وهو المقياس بين المسلم والكافر ومن خلاله يحكم على الأفراد بالقدرة على العمل الحركي أو عدمها فالذي يعجز عن أداء الصلاة أو صوم رمضان فهو أعجز من أن يكون داعية ناجحاً مسموع الكلمة والرأي والداعية يجب أن يكون مسموع الكلمة والرأي وإلا سيفشل في دعوته ويصبح وبالاً عليها والذي يعجز عن أداء أركان الإسلام فهو أعجز عن إيصالها للناس ففاقد الشيء لا يعطيه، وعلى ذلك فالركن العملي على ناحيتين:

الأولى: عمل الأفراد لانفسهم كالصلاة والصيام والقيام وقراءة القرآن وغيره. أما الثانية: فهو العمل الصالح للمجتمع وذلك من خلال المطالبة بتحكيم كتاب الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل الدائم على ذلك دون كلل أو ملل.

أما العمل الأول فيشترك فيه معظم المسلمين تقريباً يصومون ويصلون ويقرؤون

القرآن، الخ. سواء كانوا داخل الحركة أو خارجها، أما العمل الثاني فهو الذي يمتاز به المسلم والمسلمة داخل العمل الحركي عن غيره من المسلمين وهو الجانب الرئيسي الذي يجهد المسلم والمسلمة الحركيان نفسهما في سبيل تحقيقه في الوقت الذي لا يشغل بال جميع المسلمين والمسلمات، بل إننا قد نجد أُناساً من المسلمين لا يدرون إن كان هناك حكماً إسلامياً أصلاً نتيجة جهلهم بدينهم أو أن القرآن يجب أن يحكم في الناس وإن كانوا قلة في المجتمع إلا أنهم موجودون وللأسف.

وعلى ذلك فالمسلم والمسلمة الحركيان اللذان استوعبا هذه النقطة وفهيماها كل الفهم وعملا على تحقيقها في المجتمع المسلم، وقد سارا لتحقيق هذا الهدف الأسمى بأكثر من طريق فهماً مثلاً يحرصان على أن يكونا القدوة الحسنة لغيرهما من المسلمين.

ثامناً: استيعاب واقع البشرية وواقع المرأة المسلمة بشكل خاص:

إن الحركة التغييرية لا بد أن تعرف وتستوعب طبيعة وواقع الشيء المراد تغييره وحجم الواقع والقوى المتأثرة سلباً بتغيره أو المتأثره أيجاباً ببقائه أو تغيره، وحجم التيارات التي تقف خلفه والظروف التي ساعدت على ايجاد مثل هذا الواقع ففهم الواقع واستيعابه يعين على وضع الخطوط الناجحة لمعالجة الواقع، وإلا فالجهل فيه يعني الطامة الكبرى والتخبط الأعمى والفوضوية القاتلة والعفوية المخلة بالنظام العام والارتجالية التي تقتل العمل وتبيد الجهد.

فمعرفة أمراض المجتمع وآلامه وتشخيص الداء أولاً ثم وضع الخطط ووصف الدواء فإذا لم يشخص الداء أولاً فقد يعطي المريض ـ البشرية ـ دواء آخر يزيد من الحالة المرضية وقد يعرض المجتمع للهلاك بدلاً من إصلاحه وإنقاذه.

وهذا الواقع يتطلب من الحركة النسائية ما يلي:

١ـ متابعة أخبار العالم الإسلامي المنكوب والبشرية المسحوقة ومعرفة الأسباب التي أوصلته إلى ذلك ومتابعة أخبار وأوضاع المرأة المسلمة في العالم ومدى تأثرها بالواقع المأساوي الذي تحياه البشرية.

٢ـ دراسة المحاولات السابقة للإصلاح والاستفادة منها ومعرفة أسباب فشلها أو عدم نجاحها في التغيير.

٣ـ دراسة واقع الأسرة المسلمة والبحث عن الخلل فيها والعمل على علاجه.

٤ـ دراسة دور المرأة في التأثير على تغير المجتمع الغربي سلباً أو ايجاباً ومعرفة أوجه القصور في الفهم لدور المرأة.

٥ـ معرفة مقدار تأثر المرأة الشرقية بالمرأة الغربية وبالتالي حجم الجهود الواجب توافرها لإعادة واقع المرأة المسلمة كما أراد لها خالقها.

٦ـ متابعة الدراسات والاحصائيات التي تظهر العالم على حقيقته سواء أكان من حيث واقع المرأة وواقع البشرية بشكل عام والمجتمع بشكل خاص، سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو واقع الجوع ومشكلة الغذاء ومشكلة التنمية وتوفر الماء ومشكلات المرأة والطفولة وغيرها ومعرفة موقف الإسلام من هذه المشكلات.

تاسعاً: الركن الثقافي:

وفيه يجب على الحركة الإسلامية أن تضع منهاجاً تربوياً تثقيفاً شاملاً لكل مناحي الحياة الإسلامية ـ وما يهم المرأة بالذات ـ مثل أحكام الطهارة النسائية وغيرها من أحكام العبادات للمرأة المسلمة ومن خلاله يجب على المرأة أن تعرف ما لها وما عليها من حقوق وواجبات.

وأهم ما يمكن أن يتضمنه منهج المرأة المسلمة الثقافي بالاضافة للقرآن وأمور العقيدة، ما افترضه الله علينا من العلم المفروض على كل مسلم ومسلمة، مثل

تعلم صفات الله ومدلولاتها، والثقافة الأسرية، ومن خلاله تتعلم المرأة المسلمة ما يهمها داخل البيت وكيف تربي أبناءها تربية إسلامية صحيحة فعلى الحركة أن تعمل وتثقف أفرادها في كل فروع الإسلام فتأخذ قسطاً من نظام الإسلام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وقبل ذلك كله نظام الإسلام الأسري أو فقه الأسرة أو ما يمكن أن يسمى بالثقافة الأسرية وعلى المرأة المسلمة أن تتعرف على طرائق الدعوة وفقهها باعتبار أنه زاد لا بد منه لكل من تريد أن تعمل في حقل الدعوة إلى الله، وعلى المرأة أن تجيد قراءة القرآن وتتعلم أحكامه وتحفظ شيئاً منه وتحفظ مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة وكذلك على المرأة المسلمة أن تتعرف على الدعوات المناهضة للإسلام الهدامة للمجتمع من منطلق اعرف عدوك لأجل الوقاية منه.

ولكن لماذا هذا الرّكن بالذات؟:

١ـ لأن المسلم والمسلمة في العمل الدعوي خصوصاً يجب أن يكون لديهم شيء من المعرفة والعلم والاطلاع إذ أنه لا بد من مواجهتهم بأعداء التغيير بالحجة والمنطق والبرهان لا بالعاطفة وحدها فالعاطفة وحدها لا تكفي في العمل الدعوي.

٢ـ تجعل المرأة المسلمة تعبد الله على علم وقناعة لا على جهل وسذاجة مما يوثق صلة المرأة بالله سبحانه وتعالى، أما بالجهل فتصبح عبادة الله على حرف.

٣ـ إن القرآن أساس العمل ومادة الدعوة وبدونه لا عمل ولا دعوة، فتعلم أحكامه وتلاوته يساعد على الثقة بالنفس والقدرة الكبرى على العطاء الدعوي الحركي.

٤ـ أن تتعلم المرأة مفاتيح القلوب من خلال تعلمها فقه الدعوة وأصولها.

٥ـ تكوين الوعي الحركي النسوي الشامل بدلاً من العاطفة الحركية التي قد لا تعمر طويلاً بسبب الابتلاءات التي تتعرض لها الحركة بين الحين والآخر.

٦ـ تنمية النواحي التفكيرية والتعامل مع الأحداث الآنية من خلال تكوين التفكير الناقد.

عاشراً: الركن الأخلاقي:

وهو أحد أهم مقومات الحركة وأهدافها المراد تحقيقها باعتبار أن الفضيلة أحد الأركان الأساسية للمجتمع الإسلامي وهو آكد عند المرأة منه عند الرجل لارتباط قضية الأخـلاق ارتبـاطـاً مباشراً بالمرأة وإن الفضيلة النسائية واحدة من أساسيات المجتمـع الإسلامي وبمقدار تواجدها بين النساء تكون العودة لتحكيم كتاب الله سهلة وميسورة ولو تتبعنا أسباب تأخر إقامة الحكم الإسلامي إلى الآن لوجدنا فقدان الفضيلة عند الكثيرات من النساء هو أحد الأسباب الهامة للتأخر، وهذا يدفع الحركة الإسلامية النسائية أن تعطي قضية الفضيلة والأخلاق قسطاً أكبر من اهتمامها الحركي باعتبار أنها أحد أسس تغيير الواقع الإسلامي المعاصر وهذا يعني أن على الحركة أن تقضي على كافة الأسباب التي تساعد على غياب الفضيلة مثل تأخر الزواج الذي بات المجتمع الإسلامي يئن ويشكو من انتشاره والقضاء على أسبابه ـ تأخر الزواج ـ مثل غلاء المهور وأحياناً الشروط غير العقلانية التي تفرض على الشباب وغيرها، فتيسير الزواج يساعد كل المساعدة على المحافظة على الركن الأخلاقي قوياً متيناً سواء داخل الحركة أو خارجها.

ولتعلم المسلمة أن الأخلاق هي أساس بقائنا الحضاري وغيابها يعني غيابنا عن العالم غياباً عقدياً وحضارياً وهو أول الانحطاط ومنتهاه، ولذلك وجه الحاقدون كل معاولهم التدميرية إلى الإسلام والمسلمين عن طريق تغيير واقع المرأة المسلمة نحو الإباحية والانحلال الأخلاقي، واستغلوا كل وسائل كيدهم ومكرهم وباطلهم لأجل أن تحيا المرأة العربية المسلمة حياة (الموضات) والصرعات النسائية ولتخرج من قالب الأخلاق والزواج إلى قالب الرذيلة والبغاء لأنه بذلك يأمنون عودة الإسلام من جديد بالقضاء على شرف المرأة وقبولها بدعوات التحرر المزعومة.

فالركن الأخلاقي هو أصل وجزء لا يتجزأ من كل فرد سواء أكان ذكراً أم أنثى داخل الحركة، وهو هدف من الأهداف التي يجب أن يصلها التغيير على مستوى المجتمع فهو ركن بناء للحركة وركن عمل لها في المجتمع.

حادي عشر: الركن الأسري:

هو على رأس أولويات الحركة النسائية وإليها يعود الحفاظ عليه وإليها تعود كل الأسباب التي من جرائها تصاب الأسرة بالتهزع أو التكسر وذلك لارتباط المرأة الارتباط المباشر بالأسرة، ومن خلاله يشار إلى تلك الحركة أنها بنائية وبإهماله يشار إلى تلك الحركة أنها تهديمية لارتباط البناء والهدم بالأسرة فهدمها يعني مسخ شخصية الفرد واتجاهه نحو الفردية القاتلة وهذا يؤدي بالتالي إلى نتائج غير محمودة العقبى على المجتمع، ونرى هذا الاهتمام كل الاهتمام بالأسرة للأسباب التالية:

١- إن الأسرة هي حجر الزاوية في بناء المجتمع وأنه يتكون من مجموعة من الأسر، وإنه بمقدار صلاح الأسرة يكون صلاح المجتمع، ولهذا ركز الإسلام تركيزاً واضحاً على قضايا الأسرة المختلفة في تشريعاته باعتبار أنها تحتضن الفرد منذ نعومة أظفاره وتشكله الشكل الذي تريد فهي وسط بين الفرد والمجتمع، وبالتالي فإن مقدار قوتها يعني قوة الفرد من ناحية وقوة المجتمع وتماسكه من ناحية أخرى.

٢- الوقوف في وجه المخطط التصفوي للأسرة الذي تخطط له الصهيونية العالمية والاستعمار الحاقد والماسونية العالمية عن طريق ما سمي بدعوة تحرير المرأة وعن طريق تربية رجال ونساء تربية صهيونية صليبية للقضاء على البقية الباقية من عفة المرأة المسلمة وحصنها الحصين الأسرة.

٣- إن تشكيل الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم لا يكون إلا عن طريق الأسرة، فإن تربَّت ربَّة الأسرة - وربّ الأسرة - التربية الإسلامية التي يؤثرا من خلالها على أولادهما فتعكس حينها صورة البيت المسلم ثم المجتمع المسلم.

٤- إن من نقاط التمايز القليلة التي نعتز بها كمسلمين والتي لا تزال قائمة بيننا حتى الآن هي الأسرة، ويرى الغرب أن الأسرة هي إحدى أهم الوسائل لعودة الإسلام من جديد، وبالمقابل كان هدم الأسرة الوسيلة الأولى لهدم المجتمع الغربي، فللحفاظ

على تفوق الغرب على الشرق لا بد من فك آخر عقدة بناء مربوطة في الشرق وهي الأسرة.

٥- إن الأسرة نقطة تجمع لمجموعة من أفراد المجتمع، وإن رب وربة الأسرة أكثر ما يشعرهما بالانتماء إلى المجتمع هو انتماؤهما أولاً للأسرة الصغيرة، فقد نجد كثيراً من الناس يرفض ارتكاب الجريمة خوفاً على أسرته من الضياع من بعده، فتصبح الأسرة والحالة هذه أحد أسباب منع الجريمة داخل المجتمع، ونجد كذلك كثيراً من أرباب الأسر يرفضون السفر إلى الخارج مهاجرين بسبب ارتباطهم الأسري، فالأسرة والحال هذه إحدى الأسباب الدافعة للانتماء الوطني، فبتركها وتحطيمها ترتكب الجرائم ويهاجر الرجال والنساء عند أول مصيبة قد يصاب بها الوطن، وحتى لو كانت بسيطة وتجارب الأمم ودلائل انهيارها يشير إلى ذلك.

٦- إن وجود الأسرة تعني وجود شيء خاص يملكه الفرد ولا يخص غيره - بشكل مباشر - وعليه الدفاع عنه من أي اعتداء قد تتعرض له وتعرض الدولة لعدوان خارجي هو تعرض لمجموعة الأسر التي تتكون منها الدولة، ومن باب الدفاع عن الذات يهب أرباب الأسر في الدفاع عن أسرهم، وبالتالي الدفاع عن الوطن، فالأسرة والحفاظ عليها إحدى الوسائل الهامة للدفاع عن الذات العامة.

٧- إن المرأة والرجل لا يحققان السعادة والراحة والطمأنينة إلا داخل الأسرة وبدونها لا سعادة ولا طمأنينة ولا راحة وينزل الشقاء والبلاء على الرجل والمرأة.

٨- إنه من خلال الأسرة يحافظ على المجتمع نظيفاً من الشذوذ الجنسي والزنا الذي ألهب الغرب سعيره والشذوذ الجنسي والزنا إن حلا بقوم قضت عليه عن بكرة أبيه.

٩- إن الأسرة هي التي تخرج لنا جيل التغيير المنشود إذ أنه لا يمكن تشكيل هذا الجيل من خارج الأسرة فجيل التغيير له مقومات لا توجد له إلا من خلال الأسرة.

١٠- يعيش كل من المرأة والرجل والطفل في البيئة الطبيعية التي بنيت عليها الفطرة

البشرية وغير ذلك يعتبر خروجاً عن الفطرة والتخطيط الإلهي للمرأة والرجل والطفل على السواء.

لكن هذه الوظائف وغيرها من الوظائف يجب على الحركة النسائية الإسلامية الاهتمام بها اهتماماً خاصاً وتوجيه برنامجها الثقافي نحو الأسرة باعتبارها أساس البناء الحضاري الإسلامي المنتظر إن شاء الله.

وحتى تشكل مثل هذه الحركة التي تشمل هذه المقومات جميعاً كان لا بد من تشكيل الشخصية الإسلامية التي تحمل في طياتها سمات خاصة تتناسب مع الدور الحضاري الخاص الذي ستقوم فيه متهيئة لكافة احتمالات المواجهة مع أعداء المسيرة الإسلامية.

وقد شكل الإسلام شخصيات أتباعه رجالاً ونساء وصاغها صياغة خاصة فأصبح على كل فرد مسلم أن يتصف بمجموعة من الصفات المستمدة أصلاً من طبيعة الحركة الإسلامية وطبيعة المنهج وهذا الدين القويم.

لقد وضع الإسلام مقومات الشخصية الحركية التي لا بد منها فما هي هذه المقومات:

مقومات الشخصية الحركية التغييرية:

لقد أبدع الإسلام أيما إبداع في تشكيل الشخصيات والعقليات الحركية التغييرية على مر تارخيه، إذ أن كل أجيال التغيير الإسلامية أو غير الإسلامية، حتى موجات التغيير في أوروبا تأثرت من قريب أو بعيد في الفكر الإسلامي الانقلابي فأثر الإسلام في بناء شخصية التغير ودور العقيدة في بناء جيل التغيير المنشود بيّن واضح أن كل المذاهب وحتى الأديان السماوية لم تهتم ببناء الإنسان الحركي كما اهتم به الإسلام، وإن ذلك له ما يبرره إذ أنه لا يمكن أن تحقق عالمية الدعوة الإسلامية إلا من خلال الحركة والعمل الدائم لتحقق الهدف وما الجهاد والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، إلا عمل حركي لتحقيق الأهداف وإن الحفاظ على مكتسبات الدعوة التي دعا إليها الإسلام من خلال قول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وهو عمل حركي للحفاظ على الذات من انتشار المنكر فيها.

فإذا كان الحال كذلك، إذاً فلا بد أن يهتم الإسلام ببناء الشخصية الحركية بناء محكماً قوياً تستطيع من خلاله مجابهة الواقع المأفون ومجتمعيه الصنم واستعباد النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

وقد سلح الإسلام الشخصية التغييرية المسلمة بعدة أسلحة ومقومات وأهم هذه المقومات:

أولاً العلم: هو معرفة الأحكام الشرعية واتقان أو إجادة قراءة القرآن باعتباره الزاد الحركي الأساسي في العمل الدعوي وحتى تعيد المسلمة الله عز وجل عبادة الفقيه العالم لا عبادة العاطفي الجاهل، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي.

ثانياً العمل والجهاد: وهو أن يظهر العلم على سلوك المسلم والمسلمة وعلى تأديتهم للعبادات اليومية والأسبوعية والسنوية أي بمعنى آخر العمل بما تعلمته المسلمة داخل الحركة أو من خلال الكتب وكذلك تعمل على تغيير الواقع من خلال ما تعلمته بالقول والفعل والقدوة الحسنة.

والعلم والعمل هما ركنان أساسيان تحدثنا عنهما في أركان الحركة الناجحة.

ثالثاً: الصبر والتضحية: فهو الركن الركين الذي لا ينفع العلم والعمل في بناء الشخصية التغيرية الحركية بدونه فالعلم بالواقع المأسوي ثم العمل على تغيير الواقع لا بد أن يواجهه صعاب وتحديات وهي التحديات التي قد تواجه من المسلمين البسطاء الذين ما فهموا الإسلام فهماً صحيحاً، أو قد تجد المقاومة من شيوخ آثروا

القبوع في الزوايا ـ هؤلاء يغيرون بطريقتهم، ونسأل الله لهم الهداية وأن يتعاونوا معنا على المشاركة في التغيير ـ أو شيوخ تحجّروا على مناصبهم الرسمية، فهؤلاء ملوثون فكرياً، وقد تجد المرأة المقاومة من النساء ـ بنات جنسها ـ اللاتي تعودن حياة الدعة والراحة مع الظلم والحيف، وقد تجد المرأة العداء في حكومات أعلنت عداءها الكامل للإسلام جملة وتفصيلاً، وبالتالي تعمل جاهدة للقضاء على الصوت الإسلامي من أين كان مصدره وسنرى مثالاً لذلك من خلال قصة زينب الغزالي؛ ولتعلم المرأة أن النصر مع الصبر، وإنه لا يمكن أن تحقق الأهداف إلا من خلال الصبر وتحمل المشاق وآلام الطريق الطويل، فالصبر هو الحائط الذي ستموت عليه وتتحطم كل مؤامراتهم لتهديم المرأة والأسرة والمجتمع.

رابعاً: فهم الواقع: ونعني به أن تفهم المسلمة الحركات المناوئة للإسلام والمخططات الرهيبة ضده، وهذا يتطلب المتابعة الدائمة للأحداث الجارية، وخصوصاً من خلال القنوات السمعية أو المقروءة كالجرائد والمجلات الإسلامية والفهم الصحيح لهذه الحركات يعطي المسلم والمسلمة القدرة على الحكم على هذه الحركات بين القرب والبعد عن الإسلام أن العلم بالأحكام الإسلامية الشرعية وفهم واقع التآمر العالمي على الإسلام وفهم واقع المجتمع الذي نعيش فيه يعطي بعداً جديداً في التخطيط المضاد من قبل الحركة الإسلامية.

خامساً: الإخلاص: وفيه يتحدد النصر والهزيمة فلو اجتمع العلم والعمل والصبر الفهم ولم يتوافر الإخلاص فالعمل في خطر ونتائجه غير مضمونه أو مأمونة فالإخلاص أصل العمل ومن خلاله تتحدد نتائجه وهو الأمر الذي بين العبد وربه، وإن كان يظهر أحياناً على المسلم والمسلمة من خلال تفاعلهما مع الأحداث وتحملهما للأذى في سبيل الله وعليه يقبل العمل في الإسلام أو يرفض وحتى لا يذهب عملنا وصبرنا وفهمنا هكذا أدراج الرياح فلا بد من الإخلاص وتوجيه النيات في الأعمال لله، فالإخلاص هو واحداً من المقومات الأساسية في الشخصية المسلمة التغييرية.

سادساً: العقيدة الصحيحة: على رأس أولويات البناء للشخصية المسلمة التغييرية فهم واستيعاب عقيدة أهل السنة والجماعة، وفهم المعنى الحقيقي لـ «لا إله إلا الله» ويجب أن يفهم المسلم وتفهم المسلمة هذه القاعدة فهماً صحيحاً فهي تعني أن الألوهية والربوبية لله وحده وعلى أساس معاني هذه القاعدة أن التحليل والتحريم والتشريع هما من حق الله عز وجل، ولا يجوز مشاركة غيره من بني البشر مهما كان مركزه أو موقعه أو منصبه إذ أن المشاركة في التشريع تعني المشاركة في الألوهية وبالتالي فإنه يخرج من العبادة الحقة لله عز وجل وتوحيد الألوهية يعني «أفراده عز وجل بالعبادة والطاعة والتشريع».

هذه المقومات الرئيسية للشخصية التغييرية الإسلامية وهي مقومات اهتم بها الإسلام أيما اهتمام وجعلها لب اهتمامه وتربيته للجيل التغييري الإسلامي المنشود وإليك دليل كل مقوم.

المقوم الأول: العلم قال تعالى: **﴿قُل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾** [الزمر: ٩]، وقوله تعالى: **﴿إنَّما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: ٢٨]، وقال في موضع ثالث: **﴿والرَّاسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾** [آل عمران: ٧]، ويقول كذلك: **﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تذكَّرون﴾** [غافر: ٥٨] هذه من الآيات إما من الأحاديث النبوية فكثيرة منها «قول رسول رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» متفق عليه. وقال كذلك: «من كان له ابنة وأدبها وأحسن تأديبها وغذاها وأحسن غذاؤها وأسبغ عليها من النعمة كما أنعم الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار والجنة» ومن معاني التأديب التعليم.

المقوم الثاني العمل: ودليله في القرآن: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** [التوبة ١٠٥] وقوله في سورة العصر: **﴿والعصر إن الإنسان**

لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [سورة العصر]، وقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران ١١٠] وقوله تعالى: ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفي صدور قوم مؤمنين﴾ [التوبة ١٤]، وقوله: ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ [التوبة ٢٠]، أما من السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم وقال: «الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم». رواه مسلم.

المقوم الثالث الصبر وأدلته: من القرآن ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾ [المزمل: ١٠] وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان ١٧]، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [البقرة: ٢٠٠] وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة ١٥٣]. وقوله تعالى في سورة الأحزاب في إجمال صفات المسلم والمسلمة: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين و الصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥] ومن السنة عن أبي عبد الله خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتي في المنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، ما يبعده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري.

المقوم الرابع فهم الواقع: ودليل ذلك أن الله أوضح للمسلمين في القرآن الكثير من صفات أعدائهم اليهود حتى يفهموا الواقع الذي يعيشون معه، ومثال أن الله عز وجل ذكر حيل اليهود وخوفهم من مقاتلة المسلمين وجهاً لوجه في سورة الحشر: **﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله، ذلك بأنه قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتىٰ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** [الحشر: ١٤] وقوله تعالى في حبهم للدنيا وكرهتهم للموت: **﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾** [الجمعة ٧].

ففي هذه الآيات يعرّف الله سحبانـه وتعالى المسلمين بطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه وإن عدوهم جبان وأنهم يحبون الحياة ويكرهون الموت، وهذا له أكبر الآثار السلبية في قتالهم مع المسلمين إذ لا يقاتلون المسلمين إلا من وراء جدران وحصون حتى لا تحصل مواجهة مباشرة.

أما من السنة: إن رسول الله ﷺ بعد القبض على سقاه لقريش فيهم غلاماً لبني الحجاج وغلام لبني العاص عند بدر قال لهما أخبراني عن قريش قالا: هم وراء الكثيب فقال لهم: كم هم قالا: لا ندري قال: كم ينحرون كل يوم قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشرا: قال القوم بين التسعمائة والألف، ثم سألهم عمن في النفير من أشراف قريش، فذكرا له عدداً عظيماً فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: هذه مكة ألقت إليكم بأفلاذ أكبادها[1].

المقوم الخامس: الإخلاص: قال تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾** [البيّنة ٥]، وقال تعالى: **﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾** [الحج ٣٧]،

(١) نور اليقين/ محمد الخضري، ص ١١٩.

وقال: ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ [آل عمران ٢٩]، ومن السنة قول الرسول ﷺ: «إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه، وقوله عليه الصلاة والسلام عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله، فقال الرسول ﷺ «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.

المقوّم السادس العقيدة الصحيحة: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [المائدة ٤٥]. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [المائدة ٤٧] ﴿وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ [المائدة ٤٩]، ﴿أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾، ومن السنة فقد فسر الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣١] وفي حديث عدي بن حاتم قال عدي: «إننا لسنا نعبدهم قال الرسول ﷺ أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرَّم الله فتحلونه فقلت بلى، قال: فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي.

هذه المقومات الرئيسية الستة التي رأينا وغيرها من المقومات هي التي شكلت شخصية المسلم والمسلمة التغييرية ونمت الروح الحركية والتي لا غنى عن واحدة منها للشخصية الإسلامية الحقيقية، وقد ركزت الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية الكريمة على هذه المقومات حتى أنها لا تكاد صفحة من صفحات القرآن الكريم تخلو من الحديث عن واحدة من هذه المقومات على الأقل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهميتها في تشكيل الشخصية ومن ثم في تشكيل المجتمع.

هذه الشروط لا بد من توافرها جميعاً بلا استثناء للحركة الإسلامية التحررية ـ النسائية والعامة ـ المنقذة والتي تحمل على عاتقها شرف الانقلاب الإسلامي العظيم.

وهذه الأركان هي منظومة كمنظومة جسم الإنسان الذي لا يمكن أن يستغني عن جزء منه، فهل يمكن أن نستغني عن المرجعية القرآنية والقيادة الناجحة والخطة الفاعلة؟ إذاً فعلينا أن نستغني عن العقل والدماغ في جسم الإنسان أم هل يمكن أن تستغني عن ا لبناء الروحي والبناء الثقافي والدعم المالي؟ فنحن إذاً في استغناء عن الجهاز العصبي في جسم الإنسان، وهل نستطيع أن نستغني عن طاعة الأفراد وعن فهم الواقع وعن السلوك العملي؟ فنحن إذاً لا بد أن نستغني عن الأطراف في جسم الإنسان، أم هل نحن في غنى عن الأسرة والأخلاق؟ والأسرة والأخلاق هما القلب النابض بالحياة داخل المجتمع فنحن إذاً في استغناء عن القلب في الإنسان.

وهل يمكن أن يستغني جسم الإنسان عن واحدة مما ذكرت ويبعدها عن منظومته الإلهية؟ وكذلك الحركة الإسلامية النسائية وغير النسائية الناجحة لا يمكن أن تستغني عن واحدة من أركان منظومتها الحركية، وإلا لتشوهت كجسم الإنسان المتشوه الذي فقد بعض أركانه الرئيسية .

الفصل السابع

صور من التجديد الحركي لحياة المرأة

الفصل السابع

صور من التجديد الحركي لحياة المرأة

إن الخدمة الكبرى التي قدمها الإسلام للمرأة هي بث الوعي الحركي فيها للتفاعل مع الواقع المتردي ومحاولة توجيه وتغيير اهتماماتها نحو أمور جديدة وتحويلها إلى طاقة حركية عظيمة تغير وتؤثر في المجتمع المحيط بها وحولها إلى ينبوع لا ينضب من العطاء والإبداع والابتكار والحركة.

وسنتناول أولاً الصورتين اللتين حصلتا مع نفس الصحابي ونفس المرأة ـ زوجته ـ ونلاحظ من خلالهما التطور والارتقاء الإسلامي بالمرأة وسنخرج ببعض الدلالات والنتائج لهاتين الصورتين.

ولنتأمل هاتين الصورتين الأولى مع الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزوجته، والثانية مع الخليفة الراشدي الثاني أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزوجته، يقول عمر رضي الله عنه في الصورة الأولى: «والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر اتمره إذ قالت لي امرأتي: «لو وضعت كذا وكذا» فقلت لها: وما لك أنت ولم هنا؟ وما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: «عجباً يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك (تعني السيدة حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها) لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان (فآخذ ردائي ثم أخرج مكاني حتى ادخل على حفصة) فقلت لها «يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان» فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه»، فقلت: «تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله»، ثم خرجت حتى أدخل على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت لي: «عجباً لك يا ابن الخطاب، لقد دخلت في كل شيء، حتى

تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه؟» فأخذتني أخذاً كسرتني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها[1].

الصورة الثانية: والتي حصلت مع عمر أمير المؤمنين نفسه وزوجته فهي: أن رجلاً جاء إلى عمر يشكو له خلق زوجته فوقف في بابه ينتظر خروجه فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يجر جواباً فانصرف الرجل قائلاً: «إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً فناداه وقال له: ما حاجتك «فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليَّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: «إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال: يا أخي أُحتملها لحقوق لها عليَّ إنها طباخة لطعامي وخبازة لخبزي وغسالة لثيابي، مرضعة لولدي وليس ذلك واجب عليها ويسكن بها قلبي عن الحرام[2].

ويمكن أن نخرج من هاتين الصورتين بالدلالات التالية:

١ـ يتبين من كلام عمر رضي الله عنه، نظرة العربي للمرأة ـ قبل الإسلام ـ تلك النظرة السلبية والحالة الجمودية القاتلة التي عاشت بها المرأة العربية ـ وغير العربية ـ وعدم تفاعلها مع الأحداث.

٢ـ إن هذه المراجعة لم تكن عند العرب قبل الإسلام وإلا لما استغرب عمر واستهجن هذه الفعلة من زوجته ولما ذهب يتأكد من صحة كلامها ـ حول مراجعة زوجات الرسول ﷺ ـ من ابنته حفصة.

٣ـ إن الإسلام ارتقى بحرية المرأة المنزلية أولاً فإذا كانت زوجات الرسول ﷺ وهن القدوة لكل المسلمين والمسلمات يخالفنه في آرائه أو يراجعنه في آرائه الشخصية

---

(١) الإسلام والمرأة سعيد الأفغاني نقلاً عن السمط الثمين في مناقب أُمهات المؤمنين.

(٢) المرأة في الإسلام/ محمد جميل ميهم/ نقلاً عن إرشاد العباد ص١٤٤.

وهو الرسول ﷺ وقدوة كل الرجال المسلمين والنساء المسلمات، فكيف بغيره من الرجال. إن مراجعتهم في الأمور الدنيوية التي تعتمد الآراء الشخصية أولى[1].

٤ـ حرص الإسلام على الارتقاء بالمرأة نحو التفاعل في الحياة الزوجية من خلال تلاقح الآراء بين الزوجين لأجل خيرهما وخير الأسرة للخروج برأي واحد يتفق عليه الطرفان واحتمال الخطأ يكون فيه أقل، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاعتراف بقدرة المرأة على التفكير ومعالجة كافة القضايا المنزلية والأسرية مثلها في ذلك مثل الرجل بل قد تتفوق عليه أحياناً في معالجة مثل هذه الأمور ولا يأتي كذلك إلا بمنع الرجل من تعطيل التفكير الفاعل الإيجابي عند زوجته بالاستبداد في الرأي عند ذلك ينمو التفكير النسوي الفاعل للوصول إلى الحياة الأسرية الفاعلة.

٥ـ إن الإسلام أراد ترتيب السلطة الذكورية وصياغتها صياغة جديدة تتناسب مع المعطيات الجديدة والواقع الجديد من خلال تقييد السلطة الذكورية والحد منها مقابل إخراج المرأة من حالة الامّعية إلى دور جديد للمرأة للمساهمة في إدارة كفة الأمور.

٦ـ إنه أراد إشعار المرأة بمشاركتها في صنع القرار مع الرجل مما يضفي إلى شخصيتها بعداً آخر يعطيها ثقة في نفسها واعتماداً أكثر على ذاتها في تنفيذ القرار الذي ساهمت في إقراره وإخراجه، بل وتساهم في تحمل النتائج المترتبة على هذا القرار مما يعطيها قدراً أكبر في تحمل المسؤولية أو بمعنى آخر هيكلة المرأة هيكلة جديدة بحيث تصبح قادرة على تحمل المسؤولية.

٧ـ أبطال الطاعة المطلقة للزوج أو أي إنسان آخر دون قيد أو شرط واستبدالها بطاعة

---

(١) يجب أن يفهم من هذا الحديث أن نساء النبي (ﷺ) كن يراجعنه في الأمور الدنيوية ـ لا الأمور الدينية التي كان يصدر فيها حكم شرعي واضح ـ وهي الأمور التي كان الرسول (ﷺ) يدخل رأيه الخاص فإن كان هذا الرأي موحي من عند الله فلا يراجعنه إطلاقاً بل ولا يتفوهن بكلمة حول هذا التشريع الإلهي الجديد.

مشـروطة بطاعة الله أولاً ثم طاعة رسول الله ﷺ ثانياً. ومن ثم أن لا تتعارض مع مصـالـح الفـرد والأسـرة والمجتمع وتتناسب الطاعة مع القاعدة الشرعية في نظام المنزل. و هي التزام كل من الزوجين العمل بإرشاد الشرع في كل ما هو منصوص عليه والتشاور والتراضي في غير المنصوص عليه ومنع الضرر والإضرار وعدم تكليف إحداهما الآخر ما ليس في وسعه.

٨ـ إن الذي ثار على مراجعة زوجته له ورأى أن تلك إهانة له لا تغتفر هو نفسه الذي تقبل مراجعة زوجته له في الحالة الثانية ـ بل وفوق الحد المطلوب ـ وهو في الأولى فرد من الصحابة، أما في الثانية كان أميراً للمؤمنين وتحمل لا المراجعة فحسب بل واستطالة لسان زوجته عليه، وهو الذي يهابه كل السلاطين على وجه الأرض، ولكن يتحمل زوجته.

٩ـ إن هذا الارتقاء بين شخصية عمر في الحادثة الأولى وشخصية عمر في الحادثة الثانية لم يكن نتيجة حرص العرب على إعطاء الحرية للمرأة حتى داخل بيتها ولا نتيجة لجهود النساء للحصول على تحررهن من السلطة الذكورية بل كان ذلك نتيجة تغيير شخصية عمر بن الخطاب عابد الأصنام إلى شخصية عمر بن الخطاب عابد الله عز وجل وبالتالي تشكيل عقلية عمر بشكل جديد ـ وغيره من الصحابة ـ هذه التشكيلة الجـديدة التي غيرت نظرة أتباع محمد ﷺ للكون والحياة والإنسان هي نفسها التي غيّرت نظرتهم للمرأة.

١٠ـ يتضح من هاتين الصورتين الدرجة التي استطاع الصحابة وزوجاتهم رضوان الله عليهم أجمعين، التفـاعـل مع الدين الجديد ولو كان ذلك على حسابهم أو على حسـاب مكـانتهم الاجتماعية مقابل أن تعود المكانة الاجتماعية والأسرية اللائقة لشقيقتهم المرأة وتعاملوا معها بناء على التصور الإسلامي للعلاقة المقدسة بينهما.

١١ـ إن المـرأة بدأت في الحـالة الأولى تتململ في التفاعل مع المنهاج الجديد للحياة، وفي الحالة الثانية ظهرت ملامح الارتقاء بين الرجل والمرأة جلية واضحة.

١٢ـ إن هذا الحال لم يكن لزوجة عمر فحسب، وإنما كان حال قطاع واسع من نساء المسلمين بدليل أن هذا الرجل جاء حتى يشتكي من نفس الحالة ـ من طول لسان زوجته عليه ـ فعمر لم تكن الحالة النادرة الفريدة الوحيدة التي تحصل معه من هذه الأمور.

١٣ـ إن رأي عمر بأن عمل المرأة ليس واجب عليها داخل بيتها، وإذا قامت به فهو تبرع منها تثاب عليه(١).

١٤ـ إن الحادثة الأولى لا تعني إن استطالة المرأة على زوجها هو حق مشروع لها، ولكن لمراجعة الزوجة حد يقف عنده فهو مضبوط بمعيار لا يخرج عن الأدب العام أو الذوق العام، هذا إن رأت أن زوجها أخطأ فعلاً وإلا فلا.

لقد نجحت العقيدة الإسلامية نجاحاً واضحاً لا غبار عليه في التطور والارتقاء بالأوضاع القائمة وكان ذلك نتيجة طبيعية للفكرة الإسلامية نفسها المعتمدة على

---

(١) على أن أبا بكر ابن أبي شيبه والجوزجاني قالا «عليها ذلك» واحتجا بقضية علي وفاطمة: فإن النبي (ﷺ) قضى على ابنته بخدمة البيت وعلى علي بما كان خارجاً من البيت من عمل: رواه الجوزجاني قال عليه الصلاة والسلام «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلاً أمر امرأته أن تنتقل من جبل أسود إلى جبل أحمر أو من جبل أحمر إلى جبل أسود لكان نولها «أي حقها» أن تفعل ذلك» رواه بإسناده قال: فهذه طاعة فيما لا منفعة فيه فكيف في مؤونة معاشه؟ وقال الشيخ تقي الدين يجب عليها المعروف من مثلها لمثله وجاء في الإنصاف «إنه يرجع بذلك إلى عرف البلد» وبعد فقد يرد بهذه المناسبة قولهم «إذا لم يكن على الزوجة خدمة بيتها وإرضاع أولادها وتربيتهم فمن ألزم بذلك؟».

اعتراض في محله ولكن مَنْ ينظر أن عرب الجاهلية بل كثيراً من الأمم القديمة كانوا يرثون نساء رجل إذا مات كجملة الأمتعة يعلم كم هي الفائدة في أن يُقال لهم أنها في الخدمة والتربية تتفضل عليكم إذ تفعل ذلك فوق واجبها ولا يخشى من يأتي هذا الأمر بتأثير سيء مع تأثيره الحسن من حيث أن تمسك النساء عن العمل البيتي إذ أن ميلهن له ولتربية أولادهن أمر فطري ربما يثرن إذا منعن منه/ المرأة في الإسلام محمد جميل بيهم ص٦١.

الأصـل الفـطري في نفس كل إنسان ومجموعة من الأتباع الذين تميزوا بالإيمان العميق والفهم الدقيق والعمل المتواصل لقلب ا لأوضاع القائمة واستيعابهم للواقع الجديد وتفاعلهم معه. وقابله تعطش واضح من المرأة للحرية ـ الحرية المنزلية على الأقل وذلك أضعف الإيمان ـ وقيادة واعية لما يدور على الساحة من أحداث كانت مثـالاً يحتـذى في كل شيء كانت هذه عوامـل ساعدت على هذه النقلة السريعة والانقلاب الجديد.

وإن لهذا الارتقاء الإسلامي بالمرأة نتائج على الفرد والمجتمع:

١ـ إنهـا تعلم الرجال الشورى في أمورهم اليومية وخصوصاً التي تهم الأسرة ولها ارتباط بالزوجة والأولاد ولا شك أن الزوجة هي أولى من يستشار فيها والأمور التي تهم الـرجل شخصياً للارتباط المقدس بين الرجل وزوجته. فالإسلام الذي يعتبر الأسرة أساس المجتمع وأن المرأة هي أساس الأسرة وإن المجتمع الذي لبنته الأولى اعتـادت على الشورى والحرية فبالتالي سيشكل مجتمعاً كاملاً قائماً على أساس الشوري والحرية. إن الإسلام عندما يبني أسرة لا استبداد فيها ولا سلطة عمياء، فهو يبني مجتمعاً خالياً من الدكتاتورية والتسلط الأعمى فالأسرة هي التي تخرج الأمراء والوزراء والأعيان والنواب والولاة، وهؤلاء إن اعتادوا على الحرية والشورى في بيوتهم فسوف يعتادونها في حكمهم وفي تعاملهم مع الآخرين.

٢ـ تعليم المرأة الاشتغال بما يفيد والابتعاد عما لا يفيد وذلك بمشاركتها ولو بالرأي في أعمال زوجها ومعرفتها لما يدور في خلده ومعرفة الطريقة التي يفكر بها ويعمل بها حتى في مصالحه الخاصة، وهي في هذه الحالة تستطيع أن تدير أمواله أو تجارته مثلاً في حالة غيابه أو وفاته بما يتناسب معها كأنثى.

٣ـ يظهر من خلال هاتين الصورتين أن الإسلام رفع عن المرأة حالة «الإمّعية» التي كانت تحياها وقضىٰ على الفراغ التغييري فيها وبنى فيها بالمقابل شخصية حركية للوقوف في وجه الخطأ مهما كان مصدره لا أن تبقى عنصراً خاملاً بل عليها أن تؤثر

في الأسرة والمجتمع وتتأثر فيها ايجابياً.

لقد انقض الإسلام على الركود الحركي والجمود التغييري والأنامالية السياسية والأمعية الاجتماعية في نفوس اتباعه مخرجاً جيلاً قرآنياً حركياً فريداً. فشكل في المرأة بعداً حركياً قلما كان عند الرجل من قبل - بل لم يكن موجوداً أصلاً - فمن كان يستطيع أن يقف في وجه كسرى ويقول: (إنك أخطأت أو في وجه هرقل ويقول له إنك أخطأت، إذا كانت هذه لم تكن في الرجال فكيف بالنساء. ولنترك عصور الظلمات ولنأت إلى العصر الحديث هل تستطيع المرأة العربية المتحررة والتي تدّعي أنها محرّرة أن تقف في وجه زعيم عربي وتقول له إنك أخطأت وهي التي تحررت على الطريقة الفرنسية أو الانجليزية أو الايطالية أو الأمريكية وتتبجح بالديمقراطية والحرية الشخصية.

وفيما يلي حوادث ثلاث الأولى تمثل الوازع الديني الحي في نفس المرأة المسلمة والثانية تمثل مشاركة المرأة في الحياة العامة والثالثة تمثل جرأة المرأة المسلمة وصلابتها وهي تمثل صوراً واقعية للتربية الخاصة التي تربتها المرأة المسلمة وأثر ذلك على حياتها العامة.

وسأترك هذه القصص الثلاث بدون تعليق.

إنه عمر يعلم[1]

نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته عن مذق[2] اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة، فإذا بإمرأة تقول لابنة لها: ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟ فقالت الجارية: كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق!!

فقالت: قد مذق الناس فامذقي فما يدري أمير المؤمنين؟ فقالت: إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه.

فوقعت مقالتها من عمر. فلما أصبح دعا عاصماً ابنه، فقال: يا بني إذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ـ ووصفها له ـ فذهب عاصم، فإذا جارية من بني هلال. فقال عمر: اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب، فتزوجها عاصم بن عمر، فولدت له بنتاً فزوجها عبد العزيز بن مروان، فأتت بعمر بن عبد العزيز!

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون/ قصص العرب نقلاً عن:
سيرة عمر بن عبد العزيز: ١٧ نهاية الأرب، ٣ـ٢٣٨، مجمع الأمثال ٢ـ١٣٨، ابن أبي الحديد: ٣ـ١١٠.

(٢) المذق: الخلط.

أم(*)

دخل ابن الزبير[1] على أمه[2] حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمه «خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده مع الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامض له، فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك. وإن قلت: كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار، ولا أهل الدين.. وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن! والله لضربةٌ بالسيف في عز أحب إليّ من ضربه بسوط في ذل، قال: إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي! قالت: يا بني، إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها.

فدنا ابن الزبير، فقبل رأسها، وقال هذا والله رأي، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لأن الله تستحل حرمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتني بصيرة مع بصيرتي،

(*) محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون/ قصص العرب نقلاً عن: تاريخ الطبري ٧-٣: ٢، بلاغات النساء ١٣٠، العقد الفريد ٢-٢٧١.

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام، طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن. ومكث خليفة تسع سنوات ثم حاصره الحجاج بمكة، وقتل سنة ٧٣هـ.

(٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي من قريش، من فضليات نساء العرب، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣هـ، وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة، وحين خذل عبدالله أعوانه.

فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يعتمد اتيان منكر ولا عملاً بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم أظلم عن عمالي فرضيت به، بل انكرته ولم يكن شيء أثر عندي من رضا ربي، اللهم أني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً أن تقدمتني وإن تقدمتك ففي نفسي حرج حتى انظر إلامَ يصير أمرك. قال: جزاك الله يا أمه خيراً، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد. فقالت: لا أدعه أبداً فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق! ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة ومكة وبرة بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين. ثم ودعها وخرج، ولم يلبث أن قتل رحمه الله.

وهل أحل عندك محل علي[1]

حج معــاوية سنــة من سنيه، فسأل عن امرأة من بني كنانـة كانت تنـزل بالحجـون[2]، يقـال لهـا: دارمية الحجـونية، وكـانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجيء بها، فقال: ما حالك يا بنت حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني إنما أنا امرأة من بني كنانة ثمت من بني أبيك، فقال: صدقت، أتدرين لم بعثت إليك؟ فقالت؛ لا يعلم الغيب إلا الله، فقال: بعثت إليك لأسألك: علام أحببت عليا وابغضتني، ووليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال؛ لا أعفيك قالت: أمـا إذا أبيت، فإني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمة بالسوية وابغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك[3] ما ليس لك بحق، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله من الولاء، وعلى حبه المساكين وأعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وشقك العصا، وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك! قالت: يا هذا، بهند[4] والله كان يضرب المثل في ذلك لأبي. قال معاوية يا هذه أربعي[5] فإنا لم نقل إلا خيراً فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه هل رأيت علياً؟ قالت: أي والله لقد رأيته. قال: فكيف رأيته؟ قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك. قال:

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم قصص العرب نقلا عن:
العقد الفريد: ١ـ١٣٢، صبح الأعشى: ١ـ٢٥٩، بلاغات النساء ٦٧.

(٢) الحجون: جبل بمكة.

(٣) الطلبة: الطلب.

(٤) هند: أم معاوية.

(٥) ربع: وقف.

هل سمعت كلامـه؟ قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى، كمـا يجلو الزيت والصدأ.

قال: صدقت فهـل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها. قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: اغـذو بألبانها الصغار، واستحي بها الكبار، واكتسب بها المكارم وأصلح بها بين العشـائر. قال: فإن أعـطيتـك ذلـك فهل أحل عندك محل عليّ؟ قالت: ماء ولا كصدأ[1]، ومرعى ولا كسعدان[2] وفتى ولا كمالك[3]، سبحان الله! أو دونه؟ فأنشأ معاوية يقول:

إذا لم أعـد بالـحـلم مني عليكـم فمن ذا الـذي بعـدي يؤمـل للحلم!
خذيهـا هنيئاً، واذكـري فعـل ماجـد جزاك على حرب الـعـداوة بالـسـلم

ثم قال: أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئاً، قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

---

(١) صدأ: عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها.

(٢) السعدان: نبت ذو شوك، وهو من أفضل مراعي الإبل.

(٣) قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك لم قتل في الردة والأمثال الثلاثة تضرب للشيء يفضل على أقرانه.

صور واقعية حديثة للمرأة المسلمة الحركية

إن الإسلام الذي حرر المرأة وبنى جيلاً نسائياً قرآنياً فريداً هو نفسه الآن ينشىء هذا الجيل القرآني الفريد وستكون المرأة أول من يربيه الإسلام تربيته الخاصة المركزة لتشكيل الجيل الانقلابي المنشود.

وحتى لا يقال إننا نركز دائماً على المجاهدات التي رباهن الإسلام من جيل الصحابة وحتى لا يتهم الإسلام بالعجز عن تغيير الواقع المأساوي العام في كل مناحي الحياة وحياة المرأة بشكل خاص في هذا الزمان، أردت أن أتناول في الصفحات التالية قصة واحدة من النساء اللاتي رباهن الإسلام وتفاعلن معه وجاهدن الحكومات الفاسدة في سبيله جهاداً مريراً وسجنت وعذبت وتآمرت الدولة عليها وأغرتها في المناصب مثل منصب وزيرة التنمية الاجتماعية في مصر كل ذلك حتى تخرجها من ثوبها الإسلامي الحركي. ولكن كان النصر مع الصبر فصبرت أمام تعذيبهم وصبرت أمام إغراءاتهم الدنيوية وصبرت أمام سياطهم اللعينة وصبرت أمام نفسها التي كانت لها بالمرصاد.

لقد أردت عرض هذه الصورة الحركية النسوية الواقعية الحديثة حتى لا يكون كلامنا مجرد نظريات مثالية غير قابلة للتطبيق، بل هي حقائق قابلة للتنفيذ وبيسر وسهولة وهذا هو الدليل:

زينب الغزالي رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات في مصر وأكبر رائدات العمل الحركي النسائي الإسلامي في مصر سنعرض قصة هذه السيدة الكريمة عرضاً سريعاً من خلال ما كتبته في مذكراتها في الفترة التي قضتها في

سجون عبد الناصر الإرهابية وأهم الأحداث التي حصلت معها في السجن كل ذلك من خلال كتابها أيام من حياتي[1] ، وهو الكتاب الذي أنصح بقراءته كاملاً من قبل كل رجل امرأة والنساء على وجه الخصوص.

أولاً: بدايات المواجهة مع الطغاة: كانت بدايات المواجهة الحقيقية بين إدارة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات ورئيسة الحاجة زينب الغزالي عندما صدر قرار حل المركز أو الجماعة دون مبرر شرعي أو منطقي فرفضت إدارة الجماعة قرار الحل وأرسلت ترد على قرار الحل إلى رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر، ووزير الشؤون الاجتماعية والنائب العام ووزير الداخلية والصحف وقد تضمن الرد بعض العبارات التي نرى من خلالها الدرجة التي يمكن أن تصل فيها المرأة المسلمة من جراءة في الحق وقوة لأجله مهما كان زعيم الباطل وعناصره، ومن هذه العبارات:

«إن جماعة السيدات المسلمات أسست سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٦م لنشر دعوة الله والعمل على إيجاد الأمة المسلمة التي تعيد للإسلام عزته ودولته وكانت لله وستظل لله وليس لأي حاكم علماني حق الولاية على المسلمين»[2].

«جماعة السيدات المسلمات رسالتها الدعوة إلى الإسلام وتجنيد الرجال والنساء شباباً وشيباً لاعتقاد رسالته ودولته الحاكمة بما أنزل الله»[3].

«ونحن السيدات المسلمات، نرفض قرار الحل، وليس لرئيس الجمهورية، وهو ينادي صراحة بعلمانية الدولة، حق الولاء، ولا لوزارة الشؤون الاجتماعية، وكذلك فليست الدعوة أموالاً أو حطاماً تصادره حكومة العلمانيين المحاربين لله ولرسوله وللأمة المسلمة»[4].

إن القارىء لهذه الردود يرى الدرجة التي وصلت إليها المرأة المسلمة في مقاومة

---

(١) زينب الغزالي / أيام من حياتي، دار الشروق.

(٢) + (٣) + (٤) صفحة ١٤.

الباطل وأهله والوقوف في وجهه وإننا نرى مقدار هذه الجرأة ودرجة القوة في الشخصية التي تبعث مثل هذا الكلام إلى رئيس جمهورية مثل عبد الناصر الذي عرف بدكتاتوريته، إذا عرفنا طبيعة المرحلة الناصرية آنذاك والتي لا تزال بعض ملامحها حتى هذه الساعة: تقول الحاجة زينب عن هذه المرحلة:

كان هذا الموقف الشامخ للسيدات المسلمات سنة ١٩٦٤ في قمة عنفوان السلطة الناصرية في الوقت الذي كان فيه الكثيرون يقفون موقف التقية ويقرون الطاغوت على فعله، بل ويصدرون الفتاوي المؤيدة لأفعاله، ويصبغون عليه صبغة ترفعه إلى مكان الألوهية، وما كانت التقية كذلك يوماً في الإسلام لضياع العقيدة والتمويه على المسلمين، ولقد رأينا المجلات الإسلامية تتسابق في إرضاء الطاغوت حتى مجلة الأزهر العزيزة علينا معزته.. وأخذت الفتاوي تتوالى في تجريح المجاهدين الذين أخذوا بالعزيمة ولم يأخذوا بالضلال الذي سماه من أخذ به رخصة. جرّحوا المجاهدين الذين قالوا بالتزام الإسلام لا بالانتماء إليه والإلتزام هو الإسلام أما الإنتماء بغير الإلتزام فشيء آخر[1].

حملت الجماعة النسائية الإسلامية الساثرة بكل جد واجتهاد لتحقيق الغاية الإسلامية المنشودة وبدأت المساومة مع زينب الغزالي لارجاع الجماعة وإلغاء قرار الحل، ولكن مقابل ثمن غال عليها أن تدفعه لنظام عبد الناصر فتقول: أخذ رجال المباحث والمخابرات الناصرية يطلبون مقابلتي فيعرضون عليّ عروضاً لإعادة المركز العام للسيدات المسلمات، وكانت هذه العروض تكلفني أن أشتري الدنيا بالآخرة، وعلى سبيل المثال عرضوا عليّ إعادة إصدار مجلة السيدات المسلمات بإسمي كرئيسة وصاحبة الامتياز مقابل ٣٠٠ جنيه شهرياً على أن لا يكون لي شأن بما يكتب في المجلة وكان جوابي مستحيل أن تصدر مجلة السيدات المسلمات من مكاتب المخابرات لنشر علمانية العهد لم اعتد إلا أن أكون مسؤولة مسؤولية فعلية وكذلك

---

(١) ص ١٥.

عرضوا عليَّ إعادة المركز العام وصرف إعانة قدرها عشرون ألف جنيه سنوياً على أن تكون إحدى مؤسسات الاتحاد الاشتراكي كانت إجابتي إن شاء الله لن يكون عملنا إلا للإسلام، ولن نموه ولن نضلل، إن الذين يتكسبون بالإسلام لا يستطيعون خدمته وكان هذا الرفض يغضبهم[1].

ثانياً: المرأة زينب الغزالي، والمشاركة في وضع منهاج حركي لضم كل من يريد العمل للإسلام.

إن هذه المرأة المسلمة زينب الغزالي، فهمت الإسلام فهماً شمولياً حركياً واسعاً فهي تشارك في صياغة خطة مع عبد الفتاح عبده إسماعيل ـ أحد عناصر الإخوان المسلمين ـ آنذاك كان الهدف من هذه الخطة تجميع كل من يريد العمل للإسلام لينضم إلى جماعة الإخوان المسلمين أو تجميع السيدات اللاتي يرغبن في العمل الإسلامي داخل صفوف جماعة السيدات المسلمات وتقول زينب الغزالي عن هذه الخطة:

«ومع أوائل عام ١٩٥٨م كانت لقاءاتي قد تعددت بعبد الفتاح إسماعيل في منزلي أو في دار المركز العام للسيدات المسلمات، كنّا نبحث في أمور المسلمين محاولين بكل جهدنا أن نفعل شيئاً للإسلام يعيد لهذه الأمة مجدها وعقيدتها مبتدئين بسيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح، ومن بعدهم جاعلين منهجنا مستمداً من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ»[2].

وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للإسلام لينضم إلينا، كان ذلك كلّه مجرد بحوث ووضع خطط حتى نعرف طريقنا، فلما أردنا العمل كان لا بد من استئذان الأستاذ الهضيبي باعتباره مرشداً عاماً لجماعة الإخوان... والتقيت بالأستاذ الهضيبي لأستاذنه العمل بإسمي واسم عبد الفتاح عبده إسماعيل وأذن لنا في العمل[3].

---

(١) ص ١٦.　　(٢) + (٣) ص٣٢.

وفي سنة ١٩٥٩ انتهت بحوثنا إلى وضع برنامج للتربية الإسلامية واشهد الله على أنه لم يكن في برنامجنا غير تربية الفرد المسلم الذي يعرف واجبه تجاه ربه وتكوين المجتمع المسلم الذي سيجد نفسه بالضرورة مفاصلاً للمجتمع الجاهلي[1].

ولمال كانت جماعة الإخوان المسلمين معطلاً نشاطها بسبب قرار الحل الجاهلي سنة ١٩٥٤، كان ضرورياً أن يكون النشاط سرياً»[2].

ثالثاً: زينب الغزالي في السجن:

وكان رد فعل الطغاة على شجاعة وصلابة هذه المرأة المسلمة التي فهمت الإسلام فهماً حركياً شمولياً تغييرياً لا إسلام الزوايا وإسلام اللامبالاة.

لقد اعتقلت وادخلت السجن الحربي وتصف العذاب والويلات التي واجهتها في هذا السجن فتقول: سمعت المؤذن يؤذن لصلاة الفجر فرددت الأذان ثم تيممت وصليت، أمضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالي من مساء يوم الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لا يفتح باب الزنزانة فلا أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولا صلة بالخارج غير تلصص هذا الشيطان الذي يفتح عينه على فتحة باب الزنزانة الصغيرة بين الحين والحين، ولك أن تستشعر أيها القارىء العزيز كيف تستطيع أن تعيش هكذا، وإذا استطعت أن تعيش بلا طعام ولا ماء فكيف يستغني الإنسان عن قضاء الحاجة الضرورية، كيف يعيش الإنسان بغير أن يذهب إلى دورة المياه ولو مرة واحدة في اليوم؟[3].

وحتى عندما سمح لها الجلادون باستخدام دورة المياه بعد ستة أيام فإنها رفضت استخدامها والسبب كما تقول: «ولما عرضت إغلاق باب المرحاض قال ممنوع إغلاقها فخرجت من المرحاض وقلت له ارجعني إلى الزنزانة لا أريد شيئاً،

---

(١) + (٢) ص٣٣. (٣) ص٥١.

قال في وحشية والجاهلية تطغى عليه وعلى المكان ادخلي يال بت الـ. . أمال احنا حنحرسكم ازاي يا أولاد الـ. . أريد من القارىء أن يتصور معي هذا الموقف أي جاهلية وأي إلحاد يبيح ذلك[1].

ولكن لا نستغرب هذه الصورة الأولية للعذاب، فقد كان على زبانية السجن الحربي ـ بأمر عبد الناصر ـ أن يعذبوها فوق عذاب الرجال فتقول وفجأة أضيء النور ودخل صفوت ومديره قائلاً: اقرئي هذا الخطاب يا بنت!! نظرت إلى الخطاب فوجدت مكتوباً في أعلاه مكتب رئيس الجمهورية ثم مكتوب في صلبه بالآلة الكاتبة ـ بأمر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية ـ تعذب زينب الغزالي الجبيلي فوق تعذيب الرجال! التوقيع، جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية، ومختوم بخاتم شعار الدولة الخاص برئاسة الجمهورية، قرأت الخطاب ثم أعدته إلى صفوت قائلة الله أكبر منكم جميعاً، نحن معنا الله.

أخذ يرمني بنظرات شرسة ويقذف من فمه بقذرات من السب المفزع ولم أنطق بكلمة واحدة فأغلق الزنزانة»[2].

** من صور التعذيب:

«فخرج صفوت ـ أحد كبار الجلادين ـ وأتى بعامود غليظ من الحديد وقاعدتين من الخشب وجاء ثلاثة من الزبانية يحمل كل منهم سوطاً وأعدوا الآلة يعلقوني عليها، ويخرج الأمر من شمس بدران ـ كبير طغاة السجن الحربي ـ كضابط عظيم في ساحة الوغى اجلدوها يا صفوت خمسمائة جلدة.

وتنهال السياط تسطر في قدمي وجسدي أبشع ما عرفته البشرية من قسوة وحيوانية ويشتد الجلد ويشتد الألم ويعز عليَّ أن أضعف أمام هؤلاء الوحوش احتملت، احتملت وأنا أضرع إلى الله في سري.

---

(١) ص٥٢.   (٢) ص٩٠.

كان الألم فوق الاحتمـال والـدم ينزف من قدمي ويأمر شمس بدران صفوت بإيقافي، كنت في غاية الألم والجهد فحاولت أن استند إلى الحائط فيبعدني صفوت عن الحائط بسوطه، فيستمر شمس بدران في جاهليته: ردي عليّ أين. . . ؟ فلزمت الصمت فقال ردي!! فقلت بصوت خافت لشدة ما أنا فيه الله سبحانه وتعالى الفعال ذو القوة المتين، وأخرجوني من مكتب شمس بدران إلى المستشفى[1].

هذه صورة من صور التعذيب ـ الجلد بعد التوثيق أو التعليق أو بهما معاً ـ وهي صورة تتكرر كثيراً مع زينب الغزالي في عمليات التعذيب الإرهابية التي تعرضت لها والسبب بين واضح أنها تشارك في التخطيط والعمل لمجتمع إسلامي أمثل.

صورة ثانية من صور التعذيب وهذه المرة في بركة ماء أو زنزانة الماء التي وضعت بها الحاجة الفاضلة زينب الغزالي وتصف الحاجة زينب هذه الزنزانة فتقول: «وجاء الـزبـانية يسـوقوني بسياطهم لأقفز إلى الماء فأمتنع فترتفع جاهليتهم وتزداد حمية سياطهم فأسقط على الأرض فقد كان العذاب فوق طاقتي بكثير ويهرع إليّ صفوت والجنـدي سعد وجندي ثالث يدعي سامبو هكذا سمعتهم ينادونه وحملني الثلاثة وقذفوا بي إلى البئر وأفتح عيني فإذا بي أقف على أرضية صلبة! وعرفت أن الماء لم يكن بئراً وإنما هو زنزانة من الماء فأتجه إلى الله وأقول بأسمك اللهم سلّمت لك أمري وأنا أمَتُكَ وعلى عهدك ما استطعت، ألبسني أردية حبك واغدق عليّ من صبرك يا الله.

«ويريد صفوت أن يزيد طوفان العذاب فيقول وسوطه ينزل على جسدي حسبما اتفق اقعدي يا بنت الـ. . كيف اقعد في هذا الماء؟ إن هذا مستحيل فيقول الجلاد بلسانه وسوطه: اجلسي. . . أظن تعرفين هذا جيداً، أظن تعرفين مهارتك واقعدي، وجلست فصـارت المياه إلى أسفـل ذقني وقال صفوت إياكِ أن تتحركي ولو حركة واحدة، جمال عبدالناصر أمر بجلدك كل يوم ١٠٠٠ جلدة بالسوط على كل حال

---

(١) ص ٩٠.

أحب أُعرفك التسعيرة هنا، الحركة بعشرة سياط، وقال صفوت: إعلمي ـ يا حلوة ـ لو نمت فالسوط يوقظك، هذه الجلسة فقط، إذا وقفت فعشرة سياط ومد رجلك ثمنه خمسة سياط ومد ذراعك خمسة سياط، علمت ـ يا حلوة ـ هذه التسعيرة؟ فلينفعك الهضيبي أو سيد قطب.

الضرب بالسوط على كل حال أهون من التجمد في الجلسة دون حركة ولهيب السوط أهون من عذاب الماء، أخذتُ أُفكر كيف أتحرك لو مددت رجلي سيصل الماء إلى فمي فلم يكن بُد من الوقوف وأتحمل عشرة سياط وفوضت أمري إلى الله وقلت يا رب أنت معي ووقفت!!!

خُيِّل إليّ أن الجُند نائمون وسمعت أذان الفجر فتيممت على الحائط لأن الماء كان قذراً جداً لا يصلح للوضوء وأديت ركعتي السُّنّة ودخلت في ركعتي الفرض وهنا فتحت الزنزانة وهوى السوط على جسمي فجلست كما كنت فاغلق الباب وأخذت أُردد: حسبنا الله ونعم الوكيل حتى تأخذني سِنة من النوم فيوقظني الماء الذي يصافح ذقني، كانت زيارة سامبو وسوطه لا تقل عن خمس مرات في الليلة الواحدة فكان لا بد من الحركة وكان لا بد من السوط. وهكذا تكررت زنزانة الماء عدة ليال[1].

رابعاً: شجاعة وجرأة في الحق:ـ

وسنورد هنا بعض المشاهد التي تمثل الشجاعة والجرأة عند السيدة الفاضلة زينب الغزالي كما روتها عن نفسها.

«وفي اليوم الثاني طلبوا مني أن أذهب لأتحدث في التلفزيون على أن يُملوا عليّ كلاماً من زورهم وبهتانهم على الإخوان فقلت: لن أقول إلّا الآتي إذا ذهبت إلى التلفزيون:

«إن جمال عبد الناصر يحارب الإسلام في شخص جماعة الإخوان المسلمين

(١) ص٩٣، ص ١١٥.

ولذلك نحن نحاربه لأنه قال أن الحُكم بالقرآن رجعية وتأخر وتعصب مقيت ولأنه يستورد مواد أحكامه وتشريعاته من الدب الأحمر الشيوعي ومذهبه الإلحادي الذي يقول لا إله والحياة مادة، لهذا نحن نحاربه»، فجُلدتُ وأعدتُ إلى الزنزانة[1].

وتجيب على سؤالهم بأن تكتب كل معارفها من الإخوان الإجابة التالية :-

«إن في كثير من البلاد أصدقاء عرفوني عن طريق الدعوة الإسلامية فحركتنا في الأرض هي لله سبحانه وتعالى يسوق إلينا مَنْ يختار وجهته وطريقه الطريق الذي سلكه من قبلنا أصحاب محمد ﷺ والسلف الصالح.

إن غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعو للحكم بشرعه وأني بأسم الله أدعوكم أن تتخلوا عن جاهليتكم وتجددوا إسلامكم وتنطقوا بالشهادتين وتسلموا لله وجوهكم وتتوبوا إلى الله من هذه الظلمة التي رانت على قلوبكم فأغلقتها في وجه كل خير، لعل الله يخرجكم من أقفال الجاهلية إلى نور الإسلام وبلّغوا ذلك لرئيس جمهوريتكم لعله يتوب ويستغفر ويعود للإسلام ويخلع عن نفسه أطمار الجاهلية فإن أبى فأنتم مسؤولون عن أنفسكم وعن الطريق الذي اخترتموه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمد عبده ورسوله[1].

لقد كانت هذه إجابات تساؤلات من زبانية السجن الحربي دون حضور عبدالناصر شخصياً أما ما قالته عند حضور عبدالناصر شخصياً ومع المشير عبدالحكيم عامر: فتقول في وصف هذا المشهد في مطلع الباب الخامس تحت عنوان وسمع فرعون:

«أفقت يا إلهي، إنني ما زلت على الأرض أمامهم جثة هامدة، إنهم اسعفوني وبصعوبة شديدة حاولت النظر في الحاضرين فإذا بجمال عبد الناصر يتكيء على كتف عبدالحكيم عامر ويمسك في يدة نظارة سوداء، عندما رأيت جمال عبدالناصر

---

(١) ص ٥٤.

وعبدالحكيم عامر، نسيت ألمي ودبت في جسدي يقظة غريبة وانتابني نشاط غريب، كان إحساسي أن هناك شيئاً خطيراً سيحدث فكل ما يدور حولي يقوّي عندي هذا الإحساس.

وقال شمس بدران وهو ينفخ يا بنت يا زينب أُريد أن تجيبني على سؤال أُوجهه إليك بصراحة وإلاّ . . . افترضي يا زينب أن الإخوان المسلمين هم الذين يحكمون البلد وأننا نقف أمامكم تحاكموننا فماذا كنتم تفعلون بنا؟

فأجبت في قوة وشجاعة: نحن لا نسكن في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ولا نلوث أيدينا بما لوث به الظالمون أيديهم نحن لا نغمس أيدينا في الدم. نحن لا نجلس في مقاعد طواغيت الأرض.

فقال شمس بدران كتائه يضرب في الصحراء في يوم عاصف يا بنت الـ . ، . انا أقول افترضي جدلاً إنكِ جالسة مكاني ماذا تفعلين معي : فقلت: الإسلام عدل ونور ورحمة فلا سياط ولا قتل ولا تعذيب ولا سجون ولا نفي ولا دفن للأحياء ولا تمزيق لأجساد الشهداء رفعت بكر ومحمد عواد وإسماعيل الفيومي : ولا تشريد أطفال ولا ترمل نساء لا فراعنة ولا وثنية لكن الحق والعدل، الكلمة تواجهها الكلمة والحجة تواجهها الحجة.

صرخ شمس بدران كالصريع: اخرسي، اخرسي علقها يا صفوت اجلدها: وعلقني صفوت وسياط المجنون تهوى على كل جزء من جسمي»[1].

هذه مجموعة من صور الجرأة غير العادية لامرأة مسلمة عاشت في هذا القرن وصوراً عديدة من صور التعذيب التي تعرضت لها وسنرى الآن صورة من صور الإغراء الذي صاحب التعذيب طوال فترته وتصف زينب الغزالي واحدة من حالات الإغراء فتقول: «وعقب صلاة العشاء فتح باب الزنزانة ودخل الشرير صفوت الروبي

(١) ص١٤٤.

ومعه جندي آخر وأخذاني إلى المكتب الذي سبق أن دخلته مرتين قبل ذلك، وجدت رجلاً يجلس على المكتب أشار إلى مقعد أمامه لأجلس عليه ثم قال: أنا آليت على نفسي أن انتشلك من البئر وسأتفاهم معك على بعض الأمور تذهبين بعدها إلى البيت ليس هذا فقط، أنا أقول لك باسم جمال عبدالناصر إن تم التفاهم وعقلت فسيصدر الرئيس قراراً بإعادة المركز العام للسيدات المسلمات وسيرجع لك مجلتك وسيعطيك إعانة للمجلة ألف جنيه شهرياً وسيصرف لك مبلغاً كبيراً للجمعية ويعيدها أحسن مما كانت إن تفاهمتِ معي سأرسل في إحضار ملابسك وبعد ساعة ستقابلين عبدالناصر، والريس ناوي يقيل حكمت أبو زيد ـ وزيرة الشؤون الاجتماعية ـ ويُعيِّنكِ مكانها».

ولكنها ترفض كل الإغراءات وتصمد أمام كل ألوان التعذيب.

ويُحكم عليها بـ ٢٥ سنة مع الأشغال الشاقة ويُحكم على حميدة قطب من نفس الجماعة والتي شاركتها التعذيب بـ ١٠ سنوات أشغال شاقة بسبب تهم ملفقة لا دليل عليها إلا تخيلات زبانية السجن الحربي وصنم الرجعية العربية الحديثه فرعون مصر.

ولنا بعد ذلك مسألة :ـ

أين كانت الحركات النسائية العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص عندما كانت تُعذب المرأة المسلمة كل هذا التعذيب في السجون الناصرية؟

لو أن امرأة جُرحت ظلماً في نيكاراغوا أو ضُربت أو سُجنت في كوستاريكا لثارت ثورة الاتحادات النسائية العربية وضجت ورُفعت برقيات الاستنكار والتنديد لأن امرأة سُجنت ظلماً في أقصى بلاد الأرض وتقول إنها تدافع عن المرأة مهما كان دينها ووطنها ومهما كان الظلم الواقع عليها ومهما كان مصدره، وتتبجح الاتحادات النسائية العربية بشكل عام والمصرية بشكل خاص بمواقفها الإنسانية وإنها فعلت كذا وعملت كذا، نعم إننا نقر بعض الأعمال الإنسانية ولسنا ضد أي عمل إنساني

شرعي ولكن أليس كان من الأولى بالاتحادات المصرية النسائية أن تقف إلى جانب المـرأة المصـرية المسلمة في محنتها في السجون الناصرية بدلاً من تحرير نساء العالم الغربي وحل مشكلاتهن، ولكن الاتحاد النسائي المصري لم يفعل. . لماذا؟ لماذا لم تقف المرأة المصرية في الاتحاد النسائي المصري يومذاك إلى جانب المرأة المسلمة المصرية وهي التي نظّرت كثيراً في المرأة وحقوقها وحريتها وأسمعت كل العـرب دوي صوتها في الخلوص من الظلم الذكوري المزعوم، والحركة النسائية المصرية من أقدم الحركات النسائية العربية. . . أين كانت يومذاك؟

أحسب أن الاتحاد النسائي المصري آنذاكِ كان أمام الأحداث الجارية أحد ثلاثة اتحادات:

الأول:ـ اتحاد يغفل عمّا يجري في مصر من انتهاكات لحقوق الإنسان ويجهل واقع المرأة المسلمة المصرية. . ولكن أرى أن هذا الاحتمال بعيداً كل البُعد وذلك لعدة أسباب:ـ

أولاً:ـ أن الحركة الإسلامية كان قد اعتقل منها حسب بعض المصادر مائة ألف ما بين رجال ونساء وقادة وجنود في الحركة وهل يعقل أن الاتحاد النسائي المصري بقيادته وجنوده لم يكن يعلم باعتقال المائة ألف؟ هل يُعتقل مائة ألف ولا يشعر بهم أحد؟ هل هذا يُصدق. . إذاً كيف تعلم بانتهاكات لحقوق الإنسان لامرأة في أقصى بلاد الأرض.

ثانياً:ـ إنه كان من بين المعتقلين قيادة الحركة الإسلامية المصرية أمثال حسن الهيضي المـرشـد العـام لجماعة الإخوان المسلمين والإمام الشهيد مفسر القرآن الكـريم سيد قطب الذي عرف القاصي والداني بإعدامه حتى أن بعض القيادات العـربية تدخلت بالتـوسط لدى عبـدالنـاصر لعدم إعدامه وكان من بين المعتقلين الـداعية المشهـورة زينب الغـزالي ـ كمـارأينـا ـ رئيسـة المـركـز العـام للسيدات

المسلمات ـ هل كان الاتحاد النسائي المصري بعيداً إلى هذا الحد عن مصر وابناء مصر.

ثالثاً: ـ إنه لا يوجد حي من أحياء مصر ـ إذا سلّمنا بأن عدد المعتقلين مائة ألف ـ إلا وخرج منه مجموعة من شبّان وشابات الإخوان المسلمين والأخوات المسلمات إلى السجون الناصرية وحتى لو كان الرقم مبالغ فيه ولنفرض أنه ١٠,٠٠٠ فقط كان بينهم القيادة وهم مشهورون ومعروفون في مصر ويكفي أن زينب الغزالي كانت أشهر من أن تُعرف لدى الاتحاد النسائي المصري سواء على مستوى القيادة أو العضوات.

رابعاً: ـ إن مقاومة الإسلام والقضاء على الإسلاميين لم يكن بالشيء الذي يصعب اكتشافه أو معرفته بل إن القاصي والداني كان يعرفه فكيف بالاتحاد النسائي المصري خصوصاً إن سياسة اللاإسلامية كانت سياسة عبدالناصر طوال فترة حكمه.

إن الاتحـاد النسـائي المصـري كان يعلم ـ كغيره من أصغـر أفـراد الشعب المصري ـ مما يجري في السجون الناصرية لأبناء وبنات الحركة الإسلامية ولكن صمت ولم يتفوه بكلمة لإنقاذ بنات جنسهن من ربقة الاستعمار الداخلي. لماذا؟

الثاني: على كراهية الاتجاه الإسلامي، بل كراهية الإسلام نفسه والعمالة للمستعمر الغربي هو السبب الرئيسي لمواقف الاتحاد النسائي المصري التخاذلية عن قضية تحرر المرأة المصرية المسلمة من السلطة الناصرية وسجونها، إذ أن الاتجاه الإسلامي يقف حائط صد في وجه الإلحاد والإباحية وهي تريده الآن والاستعمار يريده كذلك فمن منطق كراهيتها للإسلام تكره الداعين والداعيات له بل إنها لا ترى بأساً في الإيقاع بهم ليصفوا لهن الجو ويعثوا في الأرض فساداً ليرضى عنهن المستعمر الجاثم على الصدر العربي حتى الساعة هذه.

إن الحركات النسائية المصرية هي ربيبة الاستعمار وهو الذي أراد لها أن تكون وحتى لا تكون هذه الاتهامات خالية من الدلائل والبراهين نورد هذه الأدلة: ـ

نشرت مجلة روز اليوسف في إبريل سنة ١٩٥١ بالعدد ١١٩٠ ما يلي :ـ

استقالت عضوة في إحدى الهيئات النسائية وأرسلت استقالة مسببة إلى رئيسة الهيئة تتهمها فيها بأخذ إعانات مالية من إحدى السفارات الأجنبية وقد قبلت الرئيسة الاستقالة دون عرض الخطاب على مجلس الإدارة. . ولم يمض قليل حتى أكدت (الجمهور المصري) بالعدد ٢٤ النبأ السابق وزادته وضوحاً حيث قالت وتشترك كل من السفارة البريطانية والأمريكية بمبلغ ألف جنيه سنوياً في بعض المجلات التي يصدرها حزب «بنت النيل». وهكذا كشف الغطاء وظهر المستور وعرف الناس سر هذه القوة الجبارة التي استطاعت إصدار ثلاث مجلات مختلفة في آن واحد وعلى ورق مصقول[١].

ومما يثبت علاقات الحركات النسائية بالصهيونية ما يلي :ـ

فقد دعا المؤتمر النسائي الدولي إلى اجتماع في استكهولم اتخذ فيه قرار يقضي بمطالبة وزير الداخلية السويدي بإنزال أشد العقوبات على مسيو (انيراير) لمواصلة أعمال الدعاية ضد الصهيونيين في السويد.

وقد كتب مسيو (انيراير) على إثر ذلك إلى الجامعة العربية والحكومة المصرية يستنكر موقف مندوبات الهيئات النسائية المصرية الممثلة في المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار[٢].

ومما يؤكد صلة الهيئات النسائية الدولية بالاستعمار ما كتبته الزعيمة الهندية (كاسيلا ديفي) في المصري في ٢١ إبريل سنة ١٩٥١ حيث أعلنت استقالتها من الاتحاد النسائي الدولي في جنيف لأن واقع تحت سيادة الدول الغربية الاستعمارية ويعارض مجهودات السلام وخاصة من أجل وقف الحرب في كوريا[٣].

---

(١) محمد عطية خميس ـ الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار ص٨٩.

(٢) ص٩٤.

(٣) ص ٩٥.

من خلال هذه المقتطفات فإن الاتحاد النسائي المصري بشكل عام وحزب بنت النيل بشكل خاص كان له علاقات مباشرة أو شبه مباشرة أو علاقات عادية ودية على الأقل في فترة الخمسينات فكيف باتحاد تحركه الصهيونية والاستعمار هل يقف إلى جانب حركة نسائية أو غير نسائية تحمل الطابع الإسلامي؟ هذا غير ممكن وإلّا فسوف تغضب الصهيونية والاستعمار.

الثالث: وقد يقول قائل أو قائلة ليس هذا المبرر ولكن الخوف من بطش عبد الناصر وظلمه . . . ونقول لها يكفينا مزايدات فإذا وصلت الاتحادات النسائية إلى هذا الحد من الجبن والخوف ولا تستطيع أن تقول لظلوم غشوم إنك ظالم كما قالت المرأة المسلمة على مر تاريخها وحتى الوقت الحاضر ـ وكما رأينا رئيسة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات الحاجة الفاضلة زينب الغزالي مثالاً على ذلك ـ فهل تستحق مثل هذه الاتحادات الكرتونية أن تقود النساء المصريات المسلمات نحو التغيير.

إن الحركة النسائية التغييرية البنّاءة هي الحركة التي تستطيع أن توجه المرأة للقضاء على فساد المجتمع وفساد الأنظمة ليست هي الحركة التي توجه المرأة إلى الحياة (المكياجية والموضات) وتشعرها بأن ذلك هو دورها في المجتمع.

هذا بالإضافة إلى أن الخوف والجبن مع التغيير الإيجابي لا يلتقيان إطلاقاً فالجبن عدو التغيير الأول وداؤه المزمن، أما التغيير السلبي نحو القاع فالطريق إليه مفتوحة وبلا خوف أو جبن.

فالمرأة إن أرادت أن تصبح مسلمة حقيقية تتفاعل مع عقيدة الإسلام فستواجه بصعوبات بالغة مع واقع مجتمعي عربي متخلف عقدياً واجتماعياً وسياساً وتخلف في تصوره للكون والحياة والإنسان نتيجة بعده عن مصدر التلقي ومصدر التوجيه ومصدر التربية ومصدر التشريع، القرآن الكريم وسُنّة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

فأين الحركة النسائية الإسلامية من الحركة النسائية غير الإسلامية، فهذه تدعو إلى الله وتلك تدعو إلى الشيطان، هذه تدعو إلى تحكيم كتاب الله وتلك تدعو إلى أصنام القرن العشرين، هذه تدعو إلى الحفاظ على الأسرة وهذه باعت الأسرة بثمن بخس، هذه تدعو لمقارعة الباطل وأهله وتلك جزء من الباطل وأهله، وهذه تدعو إلى الأخلاق والفضيلة وتلك تدعو إلى الفحش والرذيلة، هذه تدعو إلى الستر والحجاب وتلك تدعو إلى الكشف والسفور، وهذه تدعو إلى العلم والعمل لبناء الوطن والإنسان وتلك تدعـو إلى العلم والعمـل ولكن لهـدم الوطن والإنسان، هذه تقف في وجه الاستعمار وبوجه الأعداء تقارعهم وتقاومهم وهذه تدعم الصهيونية وتؤيد الاستعمار بشكل مباشر أو غير مباشر. وهذه تدعو إلى التمايز بين المسلمة وغير المسلمة وتلك تدعو إلى التشبه الكامل بالكافرات، وهذه تستمد تعاليمها من القرآن الكريم وتلك تستمـد تعـاليمهـا من الدب الأحمر ـ الذي انهار ـ والماسونية العالمية والصهيونية الحـاقـدة، وهذه أشغلت نفسها بقضايا الوطن والأمة وتلك أشغلت نفسها بقضايا الـذات والمـوضات، هذه مؤمنة ورعة تقية وتلك خبيثة شقية فاسقة، وهذه شريفة عفيفة غلمة على زوجها وتلك لا شرف عندها ولا عفة وغلمه مع زوجها وغيره، وهذه كلها حياء وتلك كلها وقاحة، وهذه كلها سكون وهدوء وتلك كلها صخب وصراخ، هذه تشعر بعاطفة الأمومة وتلك إلى الخروج الذي لا ينقطع من البيت، وهذه آمنة مطمئنـة وتلك قلقـة وتعيسة، هذه عرفت دورها القيادي ووعته وتلك عرفت دورها المكياجي الإفسادي ووعته، وقبل هذا وذاك فإن الأولى أخذت من «لا إله إلا الله» عقيدة ومنهاج وحياة أما الثانية فقد أخذت من أصنام القرن العشرين منهاج الحياة.

فأي الفريقين أقرب إلى الإصلاح؟ وأي الفريقين أقرب للفطرة؟ وأي الفريقين أقرب للواقع؟ أيهما حركة البناء؟ وأيهما حركة الهدم؟ وأيهما أحق أن تكون زوجة صالحـة ومـربية فاضلة؟ وأيهمـا أحق أن تتبع وتلتحق بركبها المرأة؟ حركة الهدم النسائية؟ أم حركة البناء النسائية؟ إن الحق لأحق أن يتبع.

وبعـــد

وبعـــد، ، ، ،

لقد كانت فترة صدر الإسلام العصر الذهبي بالنسبة للمرأة المسلمة الحركية. فهي تساهم في تربية الفرد والاهتمام بالأسرة وتساهم في النشاط العام وتتفاعل مع المعطيات الجديدة تفاعلاً كاملاً فهي تشارك وتستشار في كافة مناحي الحياة حتى السياسية والعسكرية ـ إلا ما نص الشارع الحكيم في استثنائها فيه مثل منصب الخلافة.

ولكن هذه المكانة المرموقة التي وصلت إليها المرأة المسلمة بدأت بالتراجع حتى وصلت إلى حافة الإنهيار والحقيقة التي لا جدال فيها إنه كلما ضعفت العقيدة الإسـلامية في نفـوس المسلمين ازدادت مكانة المرأة انحداراً ـ وهذا الأمر يصبح واضحاً جلياً للمتتبع تاريخ المرأة المسلمة عبر التاريخ الإسلامي ـ.

وهذه الحقيقة تعطينا مؤشراً واضحاً لطريق الخروج من مأزق المرأة المسلمة المعاصر فالإمّعيّة التي أصابت المرأة المسلمة المعاصرة لم تصبها وحدها بل هو مرض خبيث أصـاب جسم الأمـة كامـلاً والـركود الحركي الذي أُصيبت به المرأة المسلمة المعاصرة لم يكن مرضها فقط بل هو داء عضال أصاب كل المجتمع وأن السنة الحضارية التي أُصيبت بها المرأة المسلمة المعاصرة لم تكن مرضها وحدها كذلك بل هو مرض شمل كل المجتمع ذكوره وإناثه.

والمرأة إذا أرادت أن تتخلص من الإمّعيّة والارتجالية والعفوية والركود الحركي والجمود الفكري والسبات التغييري فإنها لا تستطيع أن تتخلص منها إلا إذا تخلص المجتمع كاملاً من هذه الأمراض القاتلة.

وللخلاص من هذه الأمراض الخبيثة وللعودة بالمرأة المسلمة إلى سابق عهدها لا بد أولاً من استئناف الحياة الإسلامية ولا بد أن تشارك المرأة المسلمة في عملية الاستئناف باعتبار أن مشاركتها الحركية في هذه العملية أمر لازم لا بد منه وعدم إشراكها في هذا العمل يعيق محاولات الحركات الإسلامية في استئناف الحياة الإسلامية وإقامة الخلافة من جديد.

وإن استؤنفت الحياة الإسلامية فيصبح تحرير المجتمع واقعاً ثم تأتي بعد ذلك عملية تحرير المرأة وفق المعطيات الإسلامية حتمية لا بد منها بسبب أن تحرير المرأة المسلمة ليس بيد الخليفة المسلم ولا بيد الرجل المسلم بل هو حق لازم لها ضمنته لها مصادر التشريع في الدولة الجديدة أو بتعبير آخر الدستور الإسلامي الملزم لكافة الأفراد والحكومات على السواء.

وفي مجال المحاولات النسائية لاستئناف الحياة الإسلامية وترميم الواقع النسوي والمجتمعي المتدهور وإعادة ما خربه الاستعمار تشكلت مجموعة من الحركات النسائية الإسلامية في هذا القرن مثل جماعة الإخوات المسلمات وجمعية السيدات المسلمات، وقد ساهمت هذه الحركات النسائية مساهمة فاعلة في محاولة ترميم المجتمع بشكل عام والمجتمع النسوي بشكل خاص الذي أصابه الفساد الحضاري، وإعادة تحكيم كتاب الله العزيز في الحياة العامة للدولة الإسلامية.

لقد عملت الحركة النسائية الإسلامية ولا تزال تعمل والمطلوب منها كثير والجهد عظيم للوصول إلى الغاية المنشودة، فعلى الحركة النسائية الإسلامية أن تضع في أولى مهماتها:ـ

إعادة تحكيم كتاب الله باعتباره المعروف الأكبر الذي يجب أن يعمل الجميع له ـ ذكراً أو أنثى ـ ويجب على الحركة النسائية أن تدرك أن بناء المجتمع لا يحتاج إلى رجال يكدون ويتعبون ويفكرون ويثورون ونساء كاسيات لاهيات وكأن الإسلام واستئناف الحياة الإسلامية لا يعدل عندهن إلا كفستان اشترته قبل سنين وانتهى

أجله، بل يحتاج إلى رجال ونساء يعملون معاً لتغيير الواقع المأفون. والمطلوب من الحركات النسائية الإسلامية أن لا تفكر في ذاتها الخاصة فقط ـ كحال معظم الحركات النسائية الحديثة الأخرى ـ بل عليها أن تفكر في ذاتها العامة وتضع حلولاً لكافة المشكلات الوطنية ويقع على عاتق الحركة النسائية الجديدة أجلّ وأعظم الأعمال ألا وهو تحديد الهوية بعد أن ضاعت بين الشرق والغرب وبين الأصالة والمعاصرة والمطلوب من الحركة النسائية الجديدة أن تفكر في أنجح الطرق لتيسير الزواج للكثير من الفتيات العانسات بسبب عزوف الشباب عن الزواج لارتفاع المهور والمطلوب من الحركة النسائية الجديدة أن توجه المرأة نحو العمل التربوي داخل الأسرة وأن يشكل هذا العمل جلّ اهتمامها لا أن يكون بالدرجة الثانية من حيث الاهتمام.

وهكذا تكون الحركة النسائية الانقلابية التغييرية قد بدأت تؤثر على المجتمع المحيط وتأخذ على عاتقها ـ كما أخذ بعض الرجال ـ تغيير الأوضاع إلى أوضاع أفضل يستفيد منها الرجال والنساء وكافة أفراد المجتمع.

فلنعمل جميعاً نحو الفكر النسائي الحركي المنظم لدعم الحركة النسائية الإسلامية العالمية.

محتويات الكتاب

- الإهداء ٥
- التقديم ٧
- المقدمة ١١
- **الفصل الأول**: ضرورة العمل الحركي النسائي ١٥
- **الفصل الثاني**: بين تنظيم الرجال وفوضوية النساء ٢٩
- **الفصل الثالث**: الإسلام وإعادة تشكيل عقل المرأة ٤٥
- **الفصل الرابع**: العمل الحركي والمرأة ٧٩
- **الفصل الخامس**: العمل الحركي والمجتمع ٨٧
- **الفصل السادس**: أركان الحركة الناجحة وأهدافها ٩٩
- **الفصل السابع**: صور من التجديد الحركي لحياة المرأة ١٢٧
- وبعد ١٥٧

محتويات الكتاب ١٦٠

هـذا الكتاب

إن الإسلام عندما أراد الاستقلال لعقلية المرأة، إنما أراد أن يبني من خلاله عقلية ناهضة تفرق بين الحق والباطل، وتقاوم الباطل، وتتفاعل مع الحق بمعايير ربانية جديدة، أو بمعنى آخر أراد الإسلام أن يرتقي بالمرأة نحو المرأة الحركية، التي تتفاعل مع الواقع الجديد، وتشارك في الحفاظ عليه، وتساهم في المد الإسلامي نحو العالمية.

وإن تعاليم الإسلام النسائية تخدم هذا الهدف «تشكيل المرأة الحركية» الحركية في ذاتهـا، الحركية في أسرتها، الحركية في عملها، الحركية في مجتمعها، فإن كانت المرأة كذلك حركية ايجابية فستشعر بقيمتها ومكانتها، وإن لم تكن كذلك فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكـان من نتـائج هذا التوجيه الجديد للمرأة المسلمة، أو بتعبير آخر التوجيه الحركي الجديد، بناء قدرات نسائية متميزة، إذ تمتاز المرأة المسلمة بـ:

- الشخصية المتميزة القوية.
- الجرأة والثقة بالنفس.
- التفكير العقلاني المنظم.
- الاعتماد على الذات.

وهي السمـات أو المميزات التي لا بد من توافـرهـا في أي شخصية حركية للوصول إلى المجتمع الإسلامي الآمن المنشود.